723 36—73864 REGD. NO. LW/NP 59

MAJALLAH ALBAAS-EL-ISLAMI (MONTHLY)

NOVEMBER — 1995

صدر حديثاً :

واقع العالم الإسلامي

وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه

تحدث فى هذا الكتيب سماحة العلامة السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى عن واقع العالم الاسلامى المعاش ، و عن مسئولية كل مسلم واع و دوره فى إنقاذ العالم الاسلامى من هذا الواقع الخطير .

قام بنشره و توزيعه

دار عرفات للترجمة ، و النشر و التوزيع

دارة الشيخ علم الله ، رائى بريلى (الهند)

يطلب الكتاب من :

المجمع الاسلامى العلمى

ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة باريك أوفست لكناؤ من مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء - رئيس التحرير سعيد الأعظمى

شعارنا الدعوة إلى الإسلام من جديد

مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء لكهنؤ الهند

العـــــدد العاشر — المجلد الأربعون

رجب - شعبان ١٤١٦هـ — ديسمبر ١٩٩٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية

تصدرها

مؤسسة الصحافة و النشر

ندوة العلماء - ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

العدد العاشر

المجلد الأربعون

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

رجب - شعبان ١٤١٦هـ

ديسمبر ١٩٩٥م

عنوان المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box. 93, Lucknow (INDIA)

حضرات أخواننا القراء !

أحييكم بتحية الاسلام و أحمد الله على هذا التوفيق الغالى الذى أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة العقيدة و الفكر و فى مجال البعث الاسلامى ، بطريق مجلة « البعث الاسلامى » التى تستكمل بهذا العدد عامها **الأربعين** ، راجياً من الله سبحانه أن يتكرم بالتأييد الدائم لنا بروح من الاستقامة والصمود ، والثبات على هذه الجبهة الدقيقة فى ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تجتازها الأمة و يتعرض لها المسلمون اليوم فى كل مكان نحو دينهم و شريعتهم و رسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها و يسر بها القارىء الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، و يشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى نتحمله الآن .

و التحديات تتجدد كل يوم ، وهى تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، و لكم شكرنا و تقديرنا .

و الله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهنـــد : مأة روبية

ثمن النسخة عشر رويات :

★ فى العالم العربى و فى جميع دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى .

و ٣٦/ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم (ALBAAS-EL-ISLAMI) بالعنوان التالى :

مكتب البعث الاسلامى ،
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص . ب ٩٣
لكناؤ (الهنـــد)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها .

في هذا العدد

الافتتاحية :

عملاء الغرب أمام تحدّي الإسلام — سعيد الأعظمي — ٣

التوجيه الإسلامي :

انقطاع صلة العلم بالاسم — سماحة العلامة الشيخ

مصدر الفساد في هذا العصر — السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ١٠

التوافق الاجتماعي في الإسلام — الدكتور علي القاضي — ١٦

التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور عند .. — الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي — ٢٢

الدعوة الإسلامية :

القلب وثقل الأمانة — الدكتور محمد بن سعد الشويعر — ٣٣

المعلم و العلم الحديث — الدكتور محمد مسلم خان — ٤٩

دراسات في السنة :

الأحاديث الضعيفة والموضوعة في التفسير .. — الدكتور عمر يوسف حمزة — ٥٨

الحديث الشريف وأثره على اللغة العربية — أبو الخير محمد ولي الله — ٧٠

فقه اللغة العربية :

الأستاذ محمد المبارك ودوره في ... — عبد الماجد الكشميري — ٨٠

صور وأضواء :

من المسئول عن معاناة المسلمين — واضح رشيد الندوي — ٩٣

العدد القادم — التحرير — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

عملاء الغرب أمام تحدّي الإسلام

سيطلع القارئ الكريم خلال قراءته لهذا العدد ضمن مقال بعنوان « القلب وثقل الأمانة » على رسالة مرذولة بعث بها أحد المتنصرين من مصر ، يقيم في أمريكا ، وينتمي إلى جمعية المسلمين للمسيح ، التي تسمّى بـ « الصوت الصارخ » بعثها إلى دار المختار الإسلامي للنشر والتوزيع في القاهرة ، وقد زعم هو في رسالته أن كتاب « الله في العقيدة المسيحية » الذي ألفه الداعية الإسلامي الأفريقي الشهير ، أحمد ديدات ، ليس من تأليفه البتة ، بل هو من « بنات أفكار » صاحب المختار الإسلامي ، الذي كتبه باللغة العربية ونماه إلى أحمد ديدات ترويجًا لبضاعته ، وتضليلا للرأي العام .

وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب « الله في العقيدة المسيحية » بقلم الناشر الذي أبدى انطباعه عن الموضوع ما يأتي : « سنناقش ذلك بهدوء ، مراعين اتخاذ كل طرق البحث العلمي ، حتى يتسنى لنا إظهار هذه العقيدة (المسيحية) للناس جميعًا ، ولإقامة الحجة عليهم ، ولدحض شبهاتهم التي بها يدافعون عن عقيدتهم ، ويذبّون عن أنفسهم براثن الكفر والإلحاد ، وينفونه عنهم ، بالرغم من أنهم وحلوا في الكفر ، وغرقوا في براثن الوثنية اللادينية ، واستقوا من عقائد الوثنية ، من البوذية وغيرها ، والفلسفة الاغريقية الوثنية ، ما جعلوا منه دينًا وثنيًا ، الله سبحانه وتعالى شأنه منه بريئ ، وعيسى منه بريئ » .

فعلّق عليه صاحب « الصوت الصارخ » ردًا على الناشر قائلاً :

« نحن نقدر تحمسك هذا ودفاعك عن الله والمسيح - ولكن ، إن كنت صحيحًا تريد إظهار الحق بالبحث العلمي ،أنت والخواجة ديدات وغيركم ممن يجيدون الترجمة واللغة الإنجليزية ، وتريدون إظهار الحق ، فلماذا لا تحاولون الرد على الكتب ، بهذه اللغة أو لغات أخرى ، والمنتشرة في العالم كله ، والتي تتعرض للدين الإسلامي ولمحمد -ﷺ- وزوجاته الاثنتي عشرة ... وأهمها كتاب « آيات شيطانية - SATANIC VERSES » من تأليف الكاتب الكبير الهندي والمسلم (سلمان رشدي) والذي جاء وقت باع منه الملايين ، وترجم ، ولا يزال يترجم بلغات كثيرة - حتى اليابانية - وكم نسخة طبعتَ أنت أو غيرك من تلاميذ الخواجة ديدات من كتبه الهابطة بالمقارنة إلى كتاب (سلمان رشدي) .

وقد يكون لكم عذر ، لأنكم لم تقرأوا هذا الكتاب « آيات شيطانية » وإنني يسرني أن أورد لكم ما جاء (المهم) في هذا الكتاب القيم باللغة الإنجليزية ، حتى تتكاتفوا أيها المسلمون والدعاة الغيورون وتردّوا عليه » .

وبعد هذا التحدي الصارخ الذي وجهه نحو المسلمين ودعاتهم الغيارى ، وطلب منهم أن يردوا على ما جاء في هذا الكتاب المرذول ، قدم نماذج عديدة منه ، كلها اختلاق وكذب وبهتان لا تمت إلى الحقائق التاريخية والأمانة العلمية بأي صلة ، إنما هي أعظم مثال للخبث والانهزامية ، والافلاس العقلي ، وتصوير كامل للالتهاث كما يلهث الكلب ، إذا أعيا والتصق بالأرض .

ليس ما كتبه هذا الشقي شيئًا مما يرد عليه ، ذلك لأن هذا الكتاب

الذليل كله ، لا يمثل إلا الشتم ولا يصور إلا عقلاً تافهًا يألف القاذورات ويرتاح إلى المستنقعات الآسنة ، والمسلم بريئ عن الرد على الشتائم ، والالتفات إلى نباح الكلاب ، وهو بعيد كل البعد عن بذل طاقة له في خطاب من هو أضل من الأنعام والبهائم ، وانتشاله من الدرك الأخير من التسفل الذي رضيه لنفسه مقابل ثمن بخس دراهم معدودة ، وعزة كاذبة جوفاء .

إن هذه العملية الذليلة ليست إلا سلسلة من مخططات الهدم والتدمير للأسوة الحسنة التي أكرم الله سبحانه بها رسوله خاتم النبيين محمدًا -ﷺ- ، وبشر بها أمته فقال : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ إنها ليست إلا جزءًا من المشروع الخطير الذي يكب عليه الغرب بخيله ورجله في مجال التشكيك والتزوير ، وتشويه سيرة النبي -ﷺ- وحياته الطاهرة النقية العطرة الزكية التي إذا أقيمت حولها هالة من أساطير الكذب والافتراءات ونسجت عليها خيوط من السوءات والهنات ، تهدّم بنيان العقيدة والإيمان بنفسه ، وذهبت الحضارة الإسلامية أدراج الرياح ، وبالتالي أصبح الإسلام دينًا خياليًا ومنهجًا موهومًا لا أصل له أمام الديانات السماوية ولا سيما بإزاء المسيحية (النصرانية) التي كانت ديانة موقتة أنزلها الله سبحانه عن طريق عيسى - عليه الصلاة والسلام - .

هناك سيل عرم من المشروعات الهائلة والتخطيطات الهدامة التي تتركز على تحقيق هذا الغرض الرخيص ، فتُخصص لطمس معالم الإسلام وتزييف شريعته ميزانيات مروعة من الأموال ، وأفواج مكثفة من الرجال والعملاء ، وتتم لذلك صفقات الأقلام والعقول التي تُنمى إلى المسلمين ،

ويُعرض ما يصدر منهما من سوانح الأفكار والآراء ، كأنه عقيدة مسلم عاش الإسلام وجربـــه ، ثم وجده مضادًا لطبيعة البشر ، وممثلا لأهبط الأخلاق وداعيًا إلى الرذائل ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم • إن يقولون إلا كذبًا ﴾ .

ومن خلال هذه السياسة الرخيصة يريد أعداء الإسلام أن يأتوا على الإسلام ويحطموه عقيدةً وشريعةً ، ثم يرفعوا على أنقاضه صرح الديانة النصرانية ويخضعوا العالم كله أمام دولة نصرانية موحدة ، ترتفع أعلامها على أركان العالم الأربعة ، وتلتجئ جميع شعوب الدنيا تحت رأيتها طوعًا أو كرهًا ، وقد قام لإنجاز هذا المشروع جماعة من المرتزقة ممن ينتمون إلى الأسر والعائلات المسلمة وهم يتظاهرون بأنهم مسلمون ، وإن كانوا قد مرقوا من الدين الإسلامي وارتدوا عنه من أول رشدهم ، وإن كانوا يسمون أنفسهم بأسماء إسلامية ، ولكنهم لا علاقة لهم بالإسلام أو بالمسيحية إنما هم عبيد أرقاء يحنون رؤسهم أمام كل مطمع وغرض خسيس ، ولا يتلكأون شيئًا عن خرق أكرم عرض ودوس أعظم كرامة ، ولقد رصدت الدول الغربية مبالغ هائلة تصرفها في أغراض تنصيرية في المجتمعات الإسلامية ، وقد بلغت ميزانية التنصير في الفترة الأخيرة إلى ١٤٥ بليون دولار تصرف على التنصير وخدمة المتنصرين والقائمين بدور الهدم والتخريب وتشويه تاريخ الإسلام النقي .

لقد أدرك الغرب المناوئ أن أخصر طريق (Short way) للتوصل إلى أغراضهم التافهة ضد الإسلام ، هو الهجوم على السيرة النبوية الزكية والخلق العظيم الذي أكرم الله سبحانه به نبينا محمدًا -ﷺ- ، وشهد له بذلك في كتابه العظيم بقوله : ﴿ وإنك لعلى خُلق عظيم ﴾ والنيل من

شخصيته والاستهانة بحياته الحافلة بأمثل النماذج الإنسانية وأزكاها ، ولذلك فان عظماء التاريخ الإسلامي الغيارى لم يرضوا بأي حال بالعفو عمن يشتم الرسول -ﷺ- ، وينال من مكانته العالية الفريدة في العالم البشري ، وهل ينسى التاريخ غيرة البطل المسلم الكبير السلطان صلاح الدين الأيوبي في هذا المجال ، وقصته مع « ريجي نالد » أحد القادة الصليبيين الكبار في الحروب الصليبية .

ومن حديثه أن السلطان صلاح الدين الأيوبي لما كتب الله له الفتح المبين والانتصار على الصليبيين في معركة حطين الحاسمة أمر بضرب خيمته في ميدان القتال وإحضار الأسرى ، وكان من بينهم الملك الصليبي « كائي » ومعه « ريجي نالد » و « جاتيلان » وكان ريجي نالد قد هجم ذات مرة على قافلة الحجاج وغدر بهم ، فلما غدر بهم ناشدوا الله والصلح الذي بينه وبين المسلمين ، فقال : « قولوا لمحمدكم يخلصكم » فلما بلغ ذلك السلطان نذَر أنه متى أظفره الله قتله بنفسه ، فلما كان ذاك اليوم وأمكنه الله منه قام إليه وقال : « ألا إني نذرت قتلك مرتين ، مرة حينما كنت أردت الزحف على الحرمين الشريفين ، وأخرى حينما هجمت على قافلة الحجاج وغدرت بهم ، وها أنا ذا انتصر اليوم لمحمد -ﷺ- على غدرك واستخفافك بالمقدسات ، قال ذلك وسلّ سيفه وضرب عنق ريجي نالد بيده وفاءً لنذره » (السلطان صلاح الدين ، والنوادر السلطانية لابن شداد) .

ومع هذه الغيرة الشديدة على شخصية الرسول -ﷺ- والحب الخالص له يتم الإيمان ويخلص الإسلام ، ويعيش المرء مسلماً مطيعًا لله وللرسول ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا ﴾ وقد أُمر -ﷺ- بأن يخبر المسلمين بالصلة العميقة الدقيقة التي هي بينه وبين الله تعالى ، صلة

الاتباع والحب . الاتباع الذي هو السبب المباشر لمحبة الله تعالى . وما عُرف عن النبي -ﷺ- من الولاء لدين الله والتفاني في حب الله تعالى بالطاعة والعبادة ليس خافيًا على أحد . وفي ذلك تتجلى طبيعة الدين القيم الذي أنزل معه بطريق الوحي . و وجدت فيه البشرية التائهة هداها . وتسنى لها الخروج من ظلمات الجهل والأنانية والصلف والحقد وجميع الأدواء النفسية والخلقية إلى نور العلم والإيمان والتواضع والحب والخلق العظيم . فمن بات قلبه خاليًا عن هذه المعاني بعيدًا عن الفضائل والطهر والعفاف وراغبًا في الرذائل . بحيث إنه لا يستريح إلا في القاذورات ولا يجد لذة العيش إلا إذا رتع في زبالات الكفر والعمالة الملعونة . فقد ختم الله على قلبه وعلى سمعه . وجعل على بصره غشاوة لا يهتدى من ورائها إلى الحق المبين . ولا يذوق مع ذلك طعم العيش الكريم . بل وينتقل من متاهة إلى متاهات مظلمة تطارده فيها الأشباح من الموت الذريع فلا يقر له قرار . ويبحث عن ملجأ يقي فيه نفسه ويرضى سادته فيؤلف كتابًا آخر باسم « أنفاس العرب الأخيرة » يذم فيه هذا التائه الملحد كاتب « آيات شيطانية » العرب الذين اختارهم الله للإسلام أول ما اختار . فكانوا السبب المباشر للولاء للإسلام والخضوع أمام شريعته وانتشاره في العالم كله .

هذه الصورة الكريهة للحياة يعيشها كل من تعرض بنفسه وباع قلبه وفكره لهدم دين الله . وخرق كرامة رسول الله -ﷺ- وشتمه بالأكاذيب والافتراءات . ثم تزيينها بأسماء و لافتات جذابة . وهو مرتد كافر ليس له أي مكان في خريطة الإسلام . مهما كان هو يصدع بالإسلام وينمى نفسه إلى المسلمين . وقد تحدث شيخ الإسلام الحافظ أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي (م ٧٢٨هـ) في كتابه القيم الذي ألفه في من يشتم الرسول -ﷺ-

ويطعنه بالروايات المختلقة ويتناوله بالذم والهجو . أن ذلك جريمة كبرى يجب تطهير الأرض من مرتكبيها . لأنه من تمام ظهور الدين وعلو كلمة الله وكون الدين كله لله . يقول :

« إنّ سبّ رسول الله -ﷺ- مع كونه من جنس الكفر والحراب - أعظم من مجرد الردة عن الإسلام . فإنه من المسلم ردة وزيادة .. فإذا كان كفر المرتد قد تغلّظ لكونه قد خرج عن الدين بعد أن دخل فيه . فأوجب القتل عينًا . فكفر الساب الذي آذى الله ورسوله وجميع المؤمنين من عباده أولى أن يتغلظ فيوجب القتل عينًا . لأن مفسدة السبّ في أنواع الكفر أعظم من مفسدة مجرد الردة . ويقول : إن من سب النبي -ﷺ- من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله .

فحيثما ظهر سبّه ولم ينتقم ممن فعل ذلك لم يكن الدين ظاهرًا . ولا كلمة الله عاليةً » . [الصارم المسلول على شاتم الرسول : ص/٢٩٨-٢٩٩]

لقد كان من أدنى حق رسول الله -ﷺ- علينا وعلى كل من يتمتع بنعمة من القلم واللسان أن ينبه الشاتمين على فعلتهم اللعينة ويحذرهم من سوء عاقبتهم في الدنيا . ومالهم في الآخرة من عذابٍ أليمٍ .

إن الغرب الحاقد على الإسلام اليوم بدأ يحصى جميع الطرق والأساليب لتدمير صرح الإسلام وتعقيم شريعته . ومن أجدى الأساليب لديه أن يشتري الأقلام والأفكار المشبوهة لتشويه هذه السيرة الطاهرة الزكية العطرة الندية وقلب الحقائق التاريخية الثابتة والأسوة الحسنة التي خلدها الله في كتابه . وأعلنها مدوية مجلجلة فقال : ﴿ لقد كان لكم رسول الله أسوة حسنة ﴾ ولعل في ذلك نهاية الغرب الحاقد المادي الأليمة من غير عودة . وإيذانًا باقترابه إلى مزابل التاريخ القذرة . بدون أسف .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم ..

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي :

انقطاع صلة العلم بالاسم

مصدر الفساد في هذا العصر

[تفضل سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي بإرساء حجر الأساس للمعهد العالي للعلوم والتكنولوجيا ، الذي أسسه جماعة من المثقفين المسلمين الغيارى في مدينة لكناؤ ، كمشروع علمي وتقني وهندسي كبير لرفع مستوى الشباب المسلم ، وسد حاجة المسلمين في مجال التقنية والهندسة .

وقد كان ذلك في ٢/من شهر نوفمبر ١٩٩٢م ، ولكن في ظرف أقل من عام ونصف في ١٢/من شهر مارس ١٩٩٥م طلب من سماحته المسئولون عن هذا المعهد وفي مقدمتهم مديره الدكتور السيد وسيم أختر ، أن يتكرم سماحته بافتتاح قسم الكمبيوتر في المعهد فقبل دعوته ، وشرف هذه المناسبة العلمية التي ضمت عددًا وجيهًا من كبار المثقفين والمهندسين ، وخبراء التعليم ، وأساتذة الجامعات وأعضاء المؤسسات العلمية والتحقيقية ، وألقى فيها سماحته الكلمة التالية بلغة أردو ، مراعاة للظروف ، ونقلها إلى العربية الأخ الفاضل محمد أحمد الندوي ، نتحفها لقرائنا الكرام نظرًا إلى قيمتها العلمية]

[التحرير]

سادتي وإخواني ! يغمرني فرح وسرور بهذه المناسبة السعيدة أن ألاحظ روح العمل والعاطفة الصادقة والواقعية و الذهن البناء في هذه الخطوة الجريئة لفتح قسم الكمبيوتر في هذه المؤسسة الحديثة ، إنه يبشر بتقدم ملحوظ للمؤسسة في مدة قصيرة .

إن العالم الإنساني يتعرض اليوم لأخطار رهيبة ويواجه مشاكل متنوعة رغم انتشار العلوم و تنوعها ، و نموها و ازدهارها و رغم الاختراعات الجديدة النادرة و الانتاجات البديعة الفائقة ، فتتسع العلوم والمعارف ، ولكن تتشابك المشاكل وتتفاقم الأخطار مع ذلك ، لأن العلم وحدة ، والمعرفة وحدها لا تصلح لهداية البشرية ، فإن الله سبحانه وتعالى ربط العلم باسمه .

ويدل على هذه الحقيقة الوحي الأول حينما أوحى الله إلى رسوله محمد -ﷺ- ، فقال : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ فإن هذا الوحي يحمل معاني كثيرة ويفتح كوة جديدة أمام الإنسان للتدبر و التفكير الواسع العميق وتلقّي الدروس والعبر ، إنه من اقتضاء النعمة التي منحها الله الإنسان في صورة العقل لكي يفكر في مصيره وعاقبة أمره ، ويفكر في عشيرته وبيئته ، و لكن يجب عليه أن يفكر في جميع هذه الأمور على منوال الربوبية وعلى النحو الذي علمه الله صريحا واضحًا بدون التواء أو غموض ، ويجب عليه أن يؤمن به إيمانًا كاملاً واعيًا لا يشوبه شئ من الريب والشك والضعف في العقيدة .

فالوحي الذي نزل لأول مرة على النبي الأمي -ﷺ- الذي لم يقرأ حرفًا من أي كتاب ، ولم تخط يده على ورق قط ، يبدأ بهذه الألفاظ ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ فإن هذه الحقيقة تشير إلى هذا المعنى البليغ ، ذاك أن الأمة التي ستخرج وستبعث من جديد في هذه الدنيا نتيجة لهذه الرسالة السماوية الجديدة ، منوطة بالعلم ومتميزة بها ، وعلاقتها بالعلم رصينة وطيدة ، إنها تهتم بالقراءة والعلم باستخدام القلم وتتخذه لها شعارا في

حياتها للتقدم والازدهار وتحبه حبًا جمًا و تتعلق به حياتها ومماتها ، ولقد انبلج فجر النهضة العلمية في أوربا بعد قرون عاشتها في غياهب الظلام والانقطاع عن العلم و الحضارة ، فارتقت بهذه النهضة علميا واقتصاديا و سياسيا ارتقاء عظيمًا ، ولكنها قطعت صلتها بربوبيته تبارك و تعالى و وحدانيته ، و نسى حملة لواء هذه النهضة أن العلم الذي يتجرد من اسم الرب لا يجدى شيئًا ، ولم يدركوا أن مثل هذا العلم لا يغنى عن الناس ، بل إنه يحدث ويثير ثورة في النفوس على العقيدة والقيم الخلقية ، ويؤدى إلى الدمار و الفساد ، وتنفجر منه براكين الاستغلال والانتهازية والحب الزائد للمال والنهامة فيه ، وإن هذا العلم يقود المجتمع الإنساني إلى إنكار الرب والشهوانية الجامحة والخلاعة والفجور والدعارة ، كما نشاهد اليوم في البيئات الأوربية والأمريكية و المجتمعات التي قد قطعت صلة علمها باسم الرب .

لو أراد شخص أن يؤرخ تاريخ هذا العالم من جديد بالجدية والواقعية والعدل ، ويكتب عن انحطاط الإنسانية ، فأشير عليه أن يجعل عنوان هذه الكتابة التاريخية : انقطاع صلة العلم عن اسم الرب وتحرره عن ربقته تحررًا كاملاً ونسيان الإنسان خالق هذا الكون ونكرانه لجميله بل وثورته عليه وحده .

فهيهات على الإنسان أن ينسى ربه ونعمه السابغة التي اسبغها عليه بدون مشقة وجهد منه ، بل بدون أن يستحقها ، إن ربه هو الذي يدبر هذا الكون و يديره وينظمه تنظيمًا متسقا متزنا ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك

الله رب العالمين ﴾.

إخواني : إن ديننا وإسلامنا يتطلب منا أن تقوم مؤسساتنا العلمية والتعليمية والهندسية و مختبراتنا التقنية على أساس اسم الرب ومعرفته ، وبهذا تستطيع مجامعنا العلمية والتقنية و التحقيقية أن تقوم بدور نافع للإنسانية جمعاء ، والحقيقة أن هذا العمل الكبير الذي يؤثر على جميع نواحى الحياة لا يستطيع أحد أن يؤديه إلا إذا وضع أساسه من أول يومه على اسم الرب تبارك وتعالى .

إنني رجل مكب على القراءة والدراسة والكتابة لم يكن لي عهد قبل هذا بالكمبيوتر وليست عندي تجربة وخبرة في هذا المجال ، ولكنني اليوم لما وضعت أصابعي على أزراره إيذانًا بالافتتاح ، لمحت تلك الآثار والنقوش التي كنت قصدتها ، فدار بخلدي أن الله تعالى جعل الإنسان في الواقع - وخاصة المسلم - مثل الكمبيوتر ، ففيه تتوافر جميع المؤهلات والطاقات الهائلة ولكنه يحتاج إلى من يثير كوامن هذه المؤهلات المطمورة والطاقات المغمورة فيه ، فإن الأنبياء وأتباعهم قد قاموا بهذا الدور الرائع النبيل على مر العصور و الأزمان في تاريخ الإنسانية و وضعوا أصابع النبوة والرسالة على هذا الكمبيوتر الإنساني فتجلت مواهبه الفطرية والطبيعية جلية واضحة مبهرة .

ومن الأسف الشديد نحن المسلمين الذين ألقى الله على كواهلهم مسئولية الدعوة إلى الله وتوجيه الإنسانية في الحياة إلى أهداف سامية ، قد فقدنا هذه القوة المعنوية الحيوية وضيعنا هذا الوعي و الشعور

بالمسئولية فلا توجد هناك أصابع توضع على هذا الكمبيوتر الإنساني من جديد ، لينهض لأداء تلك الواجبات والمسئوليات ، ومن هناك ترجع المسئولية إلينا في هذه الظروف الحرجة القلقة أن نستخرج كنوزنا المطمورة المنطوية علينا ، المكنونة المودعة فينا من الله ، ونقدحها قدحا لنقوم بتلك الأعمال الجسيمة التي يقوم بها اليوم جهاز الكمبيوتر ، هذه الآلة المادية ، ونضع أصابع التعاليم النبوية على الإنسانية حسب المتطلبات والمتغيرات والظروف و الملابسات وأوضاع الأمة وأحوالها .

إن الحاجة ماسة اليوم إلى مثل هذه المؤسسات التي تفرض على نفسها أنها لا تعلم مجرد الفن والعلم ، بل تعلم خشية الله وتقواه في السر والعلن ، وتعلم الناس علما قائمًا على معرفة الله و عرفانه وإقرار وجوده وخالقيته وقدرته على كل شئ ، وعلما مبنيا على احترام رسالات رسله وتعاليمهم الصادقة .

إن أسواق أوربا وأمريكا مكتظة وحافلة بالمخترعات الغريبة والانتاجات البديعة التي تقود العالم كله إلى الشقاء والدمار ، لكن الشئ الذي لا يوجد في هذه البلاد إنما هو روح تقوى الله وخشيته و اتباع أوامره والاجتناب من نواهيه و احتساب العمل ، ورجاء ثواب الله ، و لذلك قلت مرة في خطبتي التي ألقيتها في واشنطن ، قلت إن أمريكا حافلة معمورة بكل شئ ولكن ليس هناك « ما شاء الله » وليس هناك من يقول : ما شاء الله .

نتيجة لذلك تبذل أمريكا اليوم كل المحاولات في مجالات خدمات

الإنسانية وتوفير التسهيلات و الوسائل والإمكانيات ولكن لا تنفع هذه الوسائل الضخمة الحياة الإنسانية شيئًا ولا تعطيها راحة البال و طمأنينة القلب ، بسبب انقطاع الصلة عن اسم الرب وفقدان الاخلاص له و ركود الشعلة الإيمانية الملتهبة و خمود جمرة الإيمان الوهاجة التي تغير مجرى الحياة وتثير ثورة عظيمة فيها .

إنه يتحتم على مثل هذه المؤسسات أن تؤسس بناءها العلمي على اسم الرب لتكون نافعة للإنسانية وتخدمها خدمة جبارة .

إن هذه الدنيا لا تستطيع أن تنقذ نفسها من الوقوع في هاوية الخيبة والخسران ومن براثن الانتحار الغاشمة ، ولا تستطيع أن تتحف النوع البشري تحفة الأمن و الأمان والتعاون والمواساة و التواثق ، إذا لم يكن العلم والإسم يسيران معا في حقول الحياة المختلفة .

وإني أحب أن تقام مثل هذه المؤسسات العلمية والصناعية و التقنية وتؤسس الجامعات والكليات والمعاهد في جميع أنحاء الهند وأرجائها ، وفي الجاليات الإسلامية كلها ، لتتطور حياة المسلمين وترتفع مستوياتهم على الصعيد العالمي ، و على ذلك يجب على جميع هذه المؤسسات أن لا تنقطع صلتها عن اسم الرب تبارك وتعالى ، بل لا تضعف وشائجها بالدين شيئًا ، ويجدر بها أن تضفى عليها صبغة الدين وطابعه المميّز،حينئذ تستطيع هذه المؤسسات أن تقوم بدور رائع ملموس في الحياة ، وتقود الإنسان المعاصر إلى ساحة العزّ والسموّ ، وتمهد الطريق إلى غد أفضل ومستقبل أضمن .

وما ذلك على الله بعزيز ...

التوافق الاجتماعي في الإسلام

بقلم : سعادة الدكتور علي القاضي

التوافق الاجتماعي :

تعبير يقصد به قدرة الفرد على الثبات والجلد حيال الأزمات والشدائد التي تحل به بحيث ينتج إنتاجًا معقولاً في حدود ذكائه وإمكاناته الجسمية والعقلية وبحيث يعقد مع الناس صلات اجتماعية راضية مرضية - وذلك كله يجعله يشعر بالأمن والاطمئنان وراحة البال فتنساب حياته خالية من التوتر والقلق وضيق الصدر .

والمتوافق اجتماعيًا : يوصف بأنه ناضج انفعاليًا لأنه يتعامل مع مجتمعه بالحب وهو أقدر على ضبط نفسه في المواقف التي تثير الانفعال ولا يشعر بحاجة إلى السيطرة أو العدوان على من يقترب منه من الناس أو برغبة ملحة في إطرائهم له أو استمرار عطفهم أو طلب المعونة منهم .

التوافق الاجتماعي في الإسلام :

وعقيدة المسلم : تجعله يحس بالتبعة الإنسانية الملقاة على كاهله ، تبعة الوصاية على البشرية وهداية أفرادها إلى الطريق المستقيم .

والتوافق الاجتماعي في الإسلام يبدأ من صلة المسلم بخالقه والسير على منهاجه ومن نظرة الإسلام إلى الناس ، فهم متساوون أمام الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة : ﴿ من عمل صالحًا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾

[سورة النحل ، الآية : ٩٧] .

ولذلك فليس في الإسلام من يدعى أنه من نسل الآلهة أو أن الدم الذي يجرى في عروقه ليس من نوع دماء العامة ، أو أن الله فضله وقومه بصفة خاصة - وبذلك أنهى الإسلام كل الموانع التي توجد عدم التوافق الاجتماعي مثل التفاخر والتعصب والتكبر - كما أوجد كل العناصر التي تربط المجتمع كله بعضه ببعض ، وتجعل التوافق الاجتماعي قائمًا بصورة قوية حتى يستطيع أن يقوم بوظيفته .

فالإسلام : يسكب في الحياة كلها التوافق الاجتماعي لأن الناس جميعًا من أب واحد ومن أم واحدة وهم متساوون في الحقوق والواجبات - والأسرة قائمة على السكن والمودة - والمجتمع تشيع فيه الأخوة والحب والمساواة والعدالة والتعاون على الخير والتكافل الاجتماعي الكامل ، وإحساس المسلم بأن له رسالة سامية في الحياة تجعله يرتفع بشعوره وضميره ونشاطه وعمله - فلا يستخدم إلا الوسائل المشروعة ليصل إلى الأهداف المشروعة .

ويرسم الرسول -ﷺ- صورة للتوافق الاجتماعي فيقول : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضًا ، وكونوا عباد الله إخوانًا » . [البخاري]

ويوصى النبي -ﷺ- بالإيجابية في الحياة الاجتماعية فلا يكون المسلم إمعة يقول : أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت ولكن على المسلم أن يحسن إذا أحسن الناس وأن يتجنب إساءتهم إذا أساؤوا - بل إن النصيحة واجبة على كل مسلم ، كذلك منع المنكر باليد

أو باللسان أو بالقلب ، إذا لم يستطع غير ذلك - وإذا ما جلس المسلمون في الطريق فعليهم أن يعطوا الطريق حقه الذي يتمثل في غض البصر وكف الأذى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

عناصر التوافق الاجتماعي : وتتلخص عناصر التوافق الاجتماعي في :

١- وحدة المجتمع الإسلامي :

فالمؤمنون إخوة تشيع بينهم المودة وكل فرد يحس بأنه لبنة في بناء عظيم يشد بعضه بعضًا وبأن المسلمين جميعًا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر - وتبدأ الوحدة بالأسرة الصغيرة التي لها نظامها وضوابطها فذلك يجعل التوافق الاجتماعي قائمًا بصورة محسوسة تجعل المسلم سعيدًا سليمًا مطمئنًا .

٢- العدالة الاجتماعية :

وهي تتناول الشعور والسلوك والضمائر و الوجدانات والقيم التي تتناولها هذه العدالة هي القيم المعنوية والروحية .

والمطلوب في المجتمع الإسلامي أن يكون أفراده قوامين بالقسط شهداء لله - ولا يقبل أن تؤثر المشكلات الخاصة أو الاحتكاكات الاجتماعية على العدالة - لأن العدالة مردها إلى الله الذي يحاسب كل إنسان على شهادته : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٨] .

ويغرس الإسلام في نفوس المسلمين الإحسان في المعاملة وذلك يعني التماس الأعذار للناس وذلك يشيع المودة ويجعل الحياة الصعبة مقبولة

والتوافق الاجتماعي حقيقة واقعة : ﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم ، وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقّاها إلا ذو حظٍ عظيمٍ ﴾ [سورة فصلت ، الآيتان : ٣٤-٣٥] .

وفي الجانب الاقتصادي : يقرر الإسلام أن المال مال الله والمسلمون مستخلفون فيه - وهم مطالبون بأن يكتسبوا من حلال ، فلا ربا ولا غش ولا سرقة ولا احتكار ولا تجارة فيما حرم الله وهم مطالبون أيضًا بإعطاء الفقراء والمساكين وغيرهم حقوقهم من زكاة وصدقة وإنفاق في سبيل الله بحيث لا يبقى في المجتمع محروم ولا محتاج إلى جانب صلة الرحم وإعطاء الجار حقه والإحساس بالرابطة الإسلامية العامة .

٣- القناعة : والقناعة من عناصر التوافق الاجتماعي وذلك يجعل المجتمع مطمئن النفس هادئ القلب قادرًا على أن يؤدى وظيفته في ظل القيم الاجتماعية وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري : « من بات آمنًا في سربه معافي في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

٤- عمل الخير : وعمل الخير في المجتمع لما فيه ومن فيه له أثره في التوافق الاجتماعي ما دام الإنسان لا يبتغى إلا رضوان الله تعالى - فالجزاء يجده في الدنيا في الإحساس بالرضا وطمأنينة النفس ويجده في الآخرة في جنة عرضها السماوات والأرض ، وفي ذلك يقول الشاعر :

ازرع جميلاً و لو في غير موضعه
فلن يضيع جميل أينما زرعا

إنّ الجميل و إن طال الـــــــزمان به
فليس يحصده إلا الـــــــذي زرعا

أثر التوافق الاجتماعي : المسلم يستمد اتجاهاته وقيمه وأنواع سلوكه من تعاليم الإسلام فهدفه إرضاء الله تعالى والسير على منهاجه ليكون من المتقين .

والعلم الحديث يعطينا معلومات جديدة تفيدنا في حياتنا فقد عكف الطبيب جائمس هاوس وزملاؤه في مركز الدراسات الاستطلاعية في آن أربور التابعة لجامعة ميتشين على دراسة حالات ثلاثة آلاف شخص طوال أربعة عشر عامًا وخلص إلى النتيجة الآتية «التوافق الاجتماعي » يمد في الأعمار ، ونسبة قلة أعمار الذين ليس لديهم توافق اجتماعي تزيد مرتين ونصف عن الذين لديهم توافق اجتماعي ، ومثل هذه النتيجة توصل إليها أطباء الأوبئة في جامعة ميل بيوهن ، فقد توصلوا إلى أن أفعال الخير تعيد نظام المناعة في الجسم ، فالذهن ونظام المناعة مترابطان على نحو دقيق ، وقالوا : « إن ثمة مسارب عصبية تربط الذهن بالجسم وتمنح العظام والطحال اللذين يفرزان الخلايا الضرورية المادة اللازمة لمكافحة الأمراض السارية » .

وهذه الأبحاث تفيد الإنسان في جعل أهم هدف له في الحياة التوافق الاجتماعي حتى يعيش في أمن وطمأنينة ورضا عن النفس وعن المجتمع وعن الكون وعن الحياة ، وهذا التوافق لا يقدر بمال .

إن المجتمع الإسلامي يبنى لأهداف يحققها كل مسلم في حياته - وبناؤه للحياة هو بناء لما بعد الحياة أيضًا ما دام يريد بعمله وجه الله

تعالى ، وكل ذلك يتطلب من المسلم جهدًا أكبر من جهد الآخرين ، والغاية من هذا كله تحقيق التوافق الاجتماعي الذي يسعد الفرد والمجتمع .

وهذا ما لم تستطع أية حضارة أن تحققه .

وهذا ما جعل بعض الكتاب الأوربيين يقول : « لقد حول النبي محمد جماعة المؤمنين إلى مجتمع متحد يؤمن بالله وتحميه أعلى القيم الإيمانية » .

وحياة المسلمين المعاصرة تأثرت بالحضارة الغربية الحديثة في مجالاتها المختلفة - ولذلك شاع عدم التوافق الاجتماعي الذي جعل الناس يسيرون في حياتهم بأسلوب غير إسلامي ، وبأهداف غير إسلامية وبمشاعر غير إسلامية محاولين إشباع الوهم ، ويبررون كل أنواع السلوك غير القويم ويستهلكون أوقاتهم فيما لا يعود عليهم بالمنفعة .

و المجتمع الإسلامي : لا يمكن أن يحقق توافقه مع نفسه و لامع المجتمعات الأخرى إلا إذا بقي متصلاً بحقائق وجوده الأساسية فيحُسّ بجمال الحب وجمال التماسك وجمال العمل في الدنيا بهدف الآخرة ، وبذلك يؤدى أفراده وظيفتهم في الحياة فيرضون عن أنفسهم وعن مجتمعهم ، ويرضى الله تعالى عنهم .

وبذلك يشعرون بالسعادة والاطمئنان وعلى المسلمين في مجتمعاتنا الحاضرة أن يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم وأن يسيروا مع الآية الكريمة : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ١٥٢] .

التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور

عند الإمام الفراهي

بقلم : الأستاذ نسيم ظهير الإصلاحي
ترجمة : ابن لئيق الأعظمي

فكر الإنسان وعقله في تطور مستمر منذ وجوده في هذا الكون ، ففي عصر الصحابة - رضي الله عنهم - ، بعد النبي -ﷺ- نجد فرقًا في منهج التفكير بين شخص وآخر ، حتى ظهرت الخلافات بينهم في بعض المسائل باختلاف الطبائع وتفاوت المواهب ، واتسع نطاقها في عهد التابعين ، فلما أخذت تحدث تغيرات علمية وسياسية واجتماعية واقتصادية لاختلاطهم أقوامًا غيرهم ولمخالطتهم أممًا أخرى تغيرت مناهج الفكر وتحولت طرق النظر ، فلم تعد المسائل الفرعية والجزئية فحسب موضع نقاشهم بل تناولوا بعض المسائل الأصولية والأساسية كذلك بالنقاش ، وبحثوا في العقائد ، وجعلوا القرآن مجالاً للمباحث الكلامية والفلسفية ، فظهرت مدارس للفكر وتعددت فرق مختلفة ، وأخذ يفسر القرآن علماء كل فرقة وأصحاب كل مدرسة فكر ، وفقًا لميولهم واتجاهاتهم ، و طفق أنصار كل مدرسة يثبتون مذهبهم بالقرآن ويردون على غيرهم مستدلين بالقرآن كذلك .

المنع عن التفسير بالرأي :

عند نقطة التطور - الازدهار والتغير - انبعث السؤال في ذهن العلماء

المتورعين ، عن حدود التفسير ما هي ؟ .. وعن مدى سعة نطاق الفكر والتدبر فيه ، ومجال استنباط المسائل واستخراج المعاني ؟ وانقسم العلماء في الرد على هذا السؤال بين فئتين .

ففئة تقول : إن تفسير القرآن ليس إلا بما روى وثبت عن النبي -ﷺ- وأصحابه الكرام دون أن نستعين بالرأي والاجتهاد فيه ، لأنهما يفتحان أبواب المباحث غير الصرورية فمنعوا بالكلية عن الاجتهاد وعن الرأي في تفسير القرآن وشرحه وبيانه .

وفئة أخرى ذهبت في تفسيره إلى الاستعانة فيه بالاجتهاد والرأي بشرط عدم مخالفتهما الكتاب والسنة وأصول اللغة العامة .

الإمام الفراهي و وجهة نظره :

وأما الإمام حميد الدين الفراهي فهو يؤيد الذين أجازوا الاجتهاد والرأي في تفسير القرآن بل يوجب التدبر (١) فيه ، فقسم الرأي إلى قسمين : مذموم لا يجوز ، وصحيح يجوز ، فالرأي الذي ليس له مستند ولا صراحة في الكتاب والسنة وأيضًا لا يوافق أصول اللغة المسلة ويقوم على الرأي المحض وهوى النفس فقط فهو مذموم وحرام ، وأما الذي لا يعارض الكتاب والسنة ولا يمنعه لسان العرب وقواعد لغتهم فهو جائز ومحمود ، يوضح مذهبه في هذا الموضوع قوله :

« فاعلم أن الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم أجمعين - قد اختلفوا كثيرًا في التأويل مع تقارب خطاهم فلو أخذوا تأويلاتهم عن النبي -ﷺ- لما اختلفوا ولكنهم أخذوا عن علمهم باللسان واقتصارهم على علمهم بنظائر الآيات وعلمهم بالسنة وعن بصيرة يعطيها الله عباده

ولذلك ترى أنهم يتقاربون في المآل ، وبالجملة فإنهم لم يأولوا القرآن بالرأي المذموم الذي لا مستند له في الكتاب والسنة ولسان العرب .. » (٢) .

يعني بذلك أن ما أثر عن الصحابة الكرام من معاني القرآن ومطالبه ليس كلها مأخوذة عن النبي -ﷺ- ولا سمعت عنه ، فمنها ما ذكروه عن النبي -ﷺ- ومنها ما استنبطوه بفهمهم وبصيرتهم وباجتهادهم ورأيهم ، ولو كان الاجتهاد والرأي في تفسير القرآن ممنوعًا وحرامًا لما فعلوه ، وهل يصح أن نقول : إنهم ارتكبوا حرامًا ؟ فلما استخدم الصحابة عقلهم وفهمهم في تفسير القرآن وتأويله وقد حث القرآن هو نفسه على التدبر والتفكر فيه فلا يصح أن نحرم على الإطلاق التدبر والتفكر في تأويل كتاب الله وتفسيره بما يوافق أصول العلم والنظر ، وليس ذلك مصداقًا للحديث الذي يمنع عن التفسير بالرأي ، يقول الإمام الفراهي :

« قد حذر العلماء قديمًا عن التفسير بالرأي ولكنهم لم يبينوا كل البيان ما هو المراد من التفسير بالرأي ؟ وإذ كان المروى في ذلك عن النبي -ﷺ- قليلاً جدًا ولم يكثر فيه أيضًا ما روى عن الصحابة ، فأضافوا به ما روى عن التابعين أو تبعهم مع اختلاف الأقاويل بينهم ، وعلى هذا صنّف ابن جرير - رحمه الله تعالى - تفسيره وهو أحسن التفاسير حتى قيل انه لم يصنف مثله .

والقرآن قد تضمن من الحكمة والمعارف ما لا يحيط به إلا الله تعالى ، قد حث القرآن نفسه على التفكر والتدبر فيه وقد تبين لأصحاب العقول معارف غامضة قد تضمنتها الآيات ولم يجدوها فيما روى عن السلف فذكروها في تفاسيرهم » (٣) .

وكأن الإمام الفراهي يجب عنده لفهم القرآن استخدام العقل والفكر بجانب المرويات والمأثورات وشواهد اللغة ودلائلها ، ذلك لكي يتيسر استخراج ما في القرآن من معان بعيدة وعميقة خفية .

إيضاح أقوال السلف :

لابد لفهم القرآن من التدبر والتفكر واستخدام العقل والفهم ، وقد برهن عليه الإمام الفراهي بدلائل ساطعة وبراهين قاطعة ولكن نضرب عنه صفحًا ونرى من الواجب أن نوضح ، كيف نوجه وبماذا نأول قول العلماء الذين ذموا التفسير بالرأي وحرموا التدبر والتفكر في القرآن ، فقال الإمام الفراهي وهو يوضح ذمّه :

« إن السلف اختلفوا في تأويل القرآن كثيرًا لكونه جامعًا لوجوه كثيرة ولكونهم متفاوتين في مدارج العقول وهذا كما اختلفوا في الفتاوى ولكنهم مع ذلك اعتمدوا على أصول راسخة للتأويل كما سيأتيك في هذا الكتاب (التكميل في أصول التأويل) فلم يعتمدوا على الرأي المحض وهوى النفس » .

ومن قال : إن التفسير الذي لم يكن منقولاً عن السلف فهو التفسير بالرأي ، فمحمول على أن من ترك المنقول أوشك أن يقع في أوهامه فيرى الباطل معقولاً كما قالوا : فيمن لم يتقلد السلف في الفتاوى وركب رأسه فلا يؤمن ابتعاده عن جادة الشريعة كل البعد ، وكذلك محمول على أخذ ما يحتاج إليه في علم أسباب النزول ومواقعه ، فلابد أن يؤخذ من النقل مع التنقيد والاختيار بما صح وثبت ، ولا يحمل ذلك على ترك النظر في دلالة القرآن وحمل الآية على نظائرها والجمود على المنقول المحض ،

وعدم الفرق بين صحيحه وسقيمه وتسويته في الاعتماد ، فإن المنقول جله الأحاديث الضعاف والمتناقض بعضها بعضًا ، بل المتناقض لظاهر القرآن ، فهل يعتمد عليها ؟ أو يترك القرآن لا يتدبر فيه ولا يفهم معانيه ؟ نعم ، ينظر فيما نقل من السلف للتأييد عند الموافقة ورجع النظر عند المحافظة حتى يطمئن القلب مما يفهم من الكلام فإنه أوثق وأبعد عن الخطأ . ولذلك قال علماء التفسير : إن أحسن التفسير ما كان بالقرآن ..

لما رأي أهل السنة أن أهل البدعة والباطل جعلوا يأولون القرآن بالهوى ويحملون النصوص على غير مرادها ، حرّموا الاشتغال بالأقاويل في التفسير إلا ما روى عن الصحابة والتابعين ولا شك أنهم لم يريدوا بذلك إلا سدًا لأبواب الفتنة وكان ذلك هو الفرق ، فإن التأويل إذا لم يؤسس على قواعده التي تكون فارقة بين الحق والباطل ، لم يمنع عن القول بالرأي المحض » (٤) .

فقد علمنا من هذا التفصيل أن المنع عن التفسير بالرأي له معنى خاص وخلفية خاصة ليس القصد منه المنع عن التدبر في القرآن بل غرضه أن يكون المفكر فيه ماهرًا واعيًا ناقدًا وحذرًا سليمًا عن الوقوع في الخرافات والأوهام وهوى النفس منعًا له عن مخالفة القرآن وسدًا لأبواب الفتنة .

التفسير بالمأثـــور :

يولي الإمام الفراهي حديث الرسول وآثار الصحابة من الأهمية ما أولاه الأئمة والمفسرون ، فيقول :

« فعلمت من هذا أن أول شئ يفسر القرآن هو القرآن نفسه ثم بعد ذلك

فهم النبي -ﷺ- والذين معه ولعمري أحب التفسير عندي ما جاء من النبي -ﷺ- وأصحابه - رضي الله عنهم - » (٥) .

وقال بعد ذلك :

« إني مع اليقين بأن الصحاح لا تخالف القرآن ولا أتي بها إلا كالتبع بعد ما فسرت الآيات بأمثالها لكيلا يفتح باب المعارضة للمارقين الذين نبذوا القرآن وراء ظهورهم » (٦) .

فالإمام الفراهي لا يخالف التفسير بالحديث الصحيح ولكنه يرى أن الأحاديث الصحيحة قليلة جدًا ولا يمكن أن نقرر تأويلاً معينًا لآية بحديث لأن الروايات تحتمل تأويلات مختلفة فسميت الأحاديث بالظني بمعنى أن كونها ظنية أو قطعية باعتبار دلالتها على معنى معين لا باعتبار صحتها وعدم صحتها ، فذهب الإمام الفراهي إلى هذا الأصل : « تفسير القرآن بالقرآن » الذي استحسنه العلماء والبلغاء ، وبعد ذلك نرجع إلى الأحاديث ، فإن كان هناك حديث يعارض معنى القرآن فلنأول ذلك تأويلاً يوافق القرآن ، ولا نأول القرآن نفسه ، ومن الممكن أن يلبس الحق بالباطل للاعتماد كليًا على الحديث ، لأن في الأحاديث ما هو صحيح وما هو سقيم ، ولا يمكن أن نميز بينهن ، فقال في كتابه : « التكميل في أصول التأويل » :

« ولكن ههنا مزلة وخطر ، وذلك أنك قبل أن تفهم القرآن تتهافت على الحديث وفيه صحيح وسقيم فيعلق بقلبك من الآراء ما ليس له في القرآن أصل وربما يخالف هدى القرآن فتأخذ في تأويل القرآن إلى الحديث ويلبس عليك الحق بالباطل .

فالسبيل السوى أن تعلم الهدى من القرآن وتبنى عليه دينك ثم بعد ذلك تنظر في الأحاديث فإن وجدت ما كان شاردًا عن القرآن حسب بادي النظـــر أولته إلى كلام الله فإن أعيـــاك فتوقف في الحديث و أعمل بالقرآن » (٧) .

وفضلاً عن ذلك ، فقال : إن التفسير بحديث يناسب المقام والنظام مأمون إذا لم يقرر عقيدة ومذهبًا ، ولكنه ظنيّ مع إمكان معنى آخر ، يقول :

« والتفسير بحديث يناسب المقام إذا لم يقرر عقيدة ومذهبًا مأمون ولكن مع ذلك ظنى فآخذ به مع إمكان غيره » (٨) .

وقد حث الإمام الفراهي على تفسير القرآن بالقرآن وكان سعيه أن يعين المعنى المقصود في ضوء العمود وسياق الآيات وسباقها ونظائرها فظن بعض العلماء أن الإمام الفراهي يصرف النظر عن ذخائر الحديث ولكنه وهم محض فإنه يحيل إلى الحديث في تفسيره مثل المفسرين ، غير أنه يأتي به كالتبع (٩) وإن خالف حديثًا صحيحًا فانتقده في ضوء أصول الانتقاد التي اختارها نقاد الحديث .

المنقولات فـــي التفسير :

قد اختار الإمام الفراهي في المنقولات في التفسير مع إعطاء الحديث والروايات عن الصحابة مكانًا صحيحًا في تفسير القرآن مثل ما اختاره عامة المفسرين والمحدثين من وجهة نظرهم ، فقال العلامة ابن تيمية وهو أكبر من ترجم السلف :

« فإن الكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغث والسمين والباطل

الواضح والحق المبين ، والعلم إما نقل مصدق عن معصوم وإما قول عليه دليل معلوم ، وما سوى ذلك ، فإما فريق مردود وإما موقف لا يعلم أنه بهرج ولا منقود ، وحاجة الأئمة ماسة إلى فهم القرآن » (١٠) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل :

« ثلاثة أمور ليس لها إسناد : التفسير والملاحم والمغازي » (١١) .

وأوضح الإمام الفراهي وجهة نظره عن تفسير ابن جرير فقال :

« وقد أسس تفسيره بعض العلماء على الأحاديث كابن جرير الطبري الذي حكموا على تفسيره أنه لم يصنف مثله ولكن الأحاديث فيها أكثرها ضعاف والمرفوع فيه قليل وإنما جمع فيه أقوال أهل التأويل مع كثرة الاختلاف فيما بينها » (١٢) .

وقال في كتابه : « التكميل في أصول التأويل » :

« وإذ كان المروي في ذلك عن النبي -ﷺ- قليلاً جدًا ولم يكثر فيه أيضًا ما روى عن الصحابة فأضافوا به ما روى عن التابعين أو تبعهم مع اختلاف الأقاويل بينهم ، وعلى هذا صنف ابن جرير - رحمه الله تعالى - تفسيره وهو أحسن التفاسير حتى قيل إنه لم يصنف مثله » .

« والقرآن قد تضمن من الحكمة والمعارف ما لا يحيط به إلا الله تعالى وقد حث القرآن نفسه على التفكر والتدبر فيه وقد تبين لأصحاب العقول معارف غامضة قد تضمنها الآيات ولم يجدوها فيما روى عن السلف فذكروها في تفاسيرهم،وأكبر التفاسير المتداولة التي كتبت على هذا الطريق ما ألفه الإمام الرازي - رحمه الله تعالى - » .

« وكلاهما متلقى بالمقول بين المسلمين عامة ، مع اتفاق العلماء على أن كليهـــا يحتوي على الغث و السمين و لابد للناظر فيهما من النقد والإمعان » (١٢) .

وقال أيضًا في مقدمة نظام القرآن :

« وجب على من يحاول فهم القرآن أن لا يأخذ من الروايات ما يهدم الأصل أو يقلعه فإني رأيت بعض الروايات تقلع الآيات وتقطع نظمها إلا أن تُأول .. فينبغي لنا أن لا نأخذ منها إلا ما يكون مؤيدًا للقرآن وتصديقًا لما فيه كما أن الآثار المنقولة من ابن عباس - رضي الله عنه - أقرب الأقوال من نظم القرآن » (١٤) .

الإسرائيليـــــات :

وصرح أيضًا الإمام الفراهي وجهة نظره عما تسرب في كتب التفسير والحديث مما روى عن أهل الكتاب ، فقال :

« وكذلك تاريخ أهل الكتاب أقرب من الأخبار المنقولة عندنا فإن المفسرين أخذوها من أفواه العامة والذين قلّ علمهم بالكتب التاريخية في قصص الأنبياء وبني إسرائيل فالصواب أن نأخذ من كتبهم المعتبرة كالتبع فحيث يختلف عن القرآن نتركه فإنهم كتموا الشهادة » (١٥) .

منهجه في دراسة القرآن الكريم :

بعد ما أوضحنا موقف الإمام الفراهي عن كل من التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور وفي المنقولات في التفسير يليق بنا أن نوضح قليلاً منهج دراسة القرآن له .

فالمنهج الصحيح عند الإمام الفراهي لدراسة القرآن هو أن يفكر في

القرآن مباشرة ويتدبر فيه في ضوء سياق الآيات وسباقها والآيات المماثلة لها ومع ملاحظة أساليب كلام العرب واستعمالاتهم فينبغي للدارس أن يعين بتدبره ودراسته معنى الآية ومقصودها ، وبعد ذلك يرجع إلى الأحاديث والروايات والتفاسير لكي يطمئن قلبه وينشرح صدره . أما إذا اطمأن قلبه بتأويل فليحمد الله وإلا فليطل التدبر والتفكر فيه معترفًا بقلة علمه وضآلة فهمه ، وليدع الله أن يوسع عليه سبيل فهم القرآن ، ولا يقطع هذا الدعاء ما دام الاطمئنان لم يحصل .

فقال الإمام الفراهي وهو يوضح منهجه في دراسة القرآن :

« ما أخذت معنى الآيات من كتب التفسير ولكن تأملت في رباط الكلام وآيات مماثلة فإذا تقرر عندي معنى جملة من الآيات نظرت في تفسير الرازي والطبري - رحمهما الله تعالى - فربما وافقني واحد من أقوال السلف وربما كنت قريبًا من بعضهم وربما فهمت معنى ثم رجعت فيه وربما أشكل على شئ فوقفت ومع كل هذه الأمور نحول الإشكال والإبهام إلى قلة علمنا وقصور فهمنا وتقليدنا لما قد أخذنا من الآراء التي أخطأنا فيه » (١٦) .

فما تبين من وجهة نظر الإمام الفراهي في التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي هو بعيد عن كل إفراط وتفريط ، وفي غاية من الحذر ، وباعتدال مناسب ، تمسك بها الفراهي وعض عليها بالنواجذ ، وإن تأملت تفسيره تجد أنه يسير من أوله إلى آخره على هذا المنهج العدل ، إذ أن المتأخرين من العلماء اعتمدوا كثيرًا على الأحاديث والروايات وهي صحيحة وسقيمة معًا ، فأولوا آية بتأويلات متناقضة وبعيدة عن الفهم ، ومستدلهم الوحيد

في ذلك أن الآية تحتمل احتمالات مختلفة و وجوهًا عديدة ، أما الأحاديث والروايات فهي أوضح من القرآن في ذلك مع أن القرآن هو أصل وجدير بالاعتماد والاستناد عليه .

الهـــوامش :

(١) الإمام حميد الدين الفراهي : التكميل في أصول التأويل : ص/٨ ، الدائرة الحميدية بسرائ مير (الهند) الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ .

(٢) نفس المصدر : ص/٥-٦ .

(٣) نفس المصدر : ص/٥ .

(٤) نفس المصدر : ص/٧-٨ .

(٥-٦) الإمام الفراهي : فاتحة نظام القرآن : ص/٧ ، مكتبة الإصلاح بسرائ مير ١٣٩٧هـ .

(٧) الإمام الفراهي : التكميل في أصول التأويل : ص/٦٥-٦٦ .

(٨) الإمام الفراهي : رسائل الإمام الفراهي : ص/٢٧٩ ، الدائرة الحميدية بمدرسة الإصلاح سرائ مير ، أعظمجراه ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ-١٩٩١م .

(٩) الإمام الفراهي : فاتحة نظام القرآن : ص/٧ .

(١٠) الدكتور عناية الله الإصلاحي : الإمام حميد الدين الفراهي : ص/٦٤ ، طبعة بمطبعة إسرار كريمي ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م .

(١١) العلامة ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير : ص/١٦ ، الطبعة الثالثة بالمطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٩٧هـ .

(١٢) الإمام الفراهي : فاتحة نظام القرآن : ص/٧ .

(١٣) الإمام الفراهي : رسائله : ص/٢١٧ .

(١٤-١٥) الإمام الفراهي : فاتحة نظام القرآن : ص/١٠ .

(١٦) نفس المصدر : ص/١٧ .

القلب و عقل الأمة

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

منهج القرآن الكريم ،وتوجيهه للقلوب النيّرة ، هو الطريق الأقوم في إسعاد النفوس ، وإصلاحها ، وتوضيح معالم الخير ، الذي تسترشد به في دروب الحياة ، والطريق الموصل للآخرة ، ذلك أنه توجيه رباني ، يتمثل فيه الخير بحذافيره ، ويحذر من الشرور وما تقود إليه أعماله من شقاوة أبدية ، نلمس مثل هذا في واحد من النصوص الكريمة في كتاب الله - جلّ وعلا - ، يقول سبحانه وتعالى في سورة الزمر : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام • فهو على نور من ربه • فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله • أولئك في ضلال مبين ﴾ [الآية : ٢٢] .

والصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله الكونية ، التي أرادها -جل وعلا- لحكمة ، وتمايزت العقول والأفكار في هذا المنحى لغاية ، لأن الله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق ، قال : هؤلآء للجنة ولا أبالي ، وهؤلآء للنار ولا أبالي ، وقد وزّع عليهم عقولهم كما وزّع عليهم أرزاقهم ، فهم يتفاوتون في الإدراك كما يتفاوتون في الأرزاق .

وحتى أنبياء الله -عليهم الصلاة والسلام - لا يهدون من اقتضت حكمة الله ضلاله ، مع حرصهم واهتمامهم بالتبليغ لإصلاح القلوب ، وبجذب

الناس الذين يبلغونهم ، إلى المنهج السليم ، يقول الله سبحانه لأفضل الخلق ، وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد -ﷺ- في إراحة لقلبه ، وإبانة لدوره في التبليغ : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [سورة يوسف ، الآية : ١٠٣] .

فطريق الحق منهجه واضح ، و معـالمه بارزة لبني آدم ، منذ خلق الله آدم ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، تُبرز معالمه كتب الله ، ويدل عليه أنبياء الله ورسله ، وبعد ختم الرسالة بمحمد -ﷺ- أبان - عليه الصلاة والسلام - بأنه ترك في الأمة أمرين لن يضلوا ما تمسكوا بهما : كتاب الله ، وسنة رسوله -ﷺ- ، وجاء في فضائل القرآن بأنه : حبل الله المتين ، وسراجه المنير ، وصراطه المستقيم ، من تمسك به هدي ، ومن أخذ به عصم .

كما أن طريق الباطل واضح ، وعليه علامات تبيّنه ، فيعرفها القلب المستنير ، ليتجنبها ، وينقاد لها من طمس الله على قلبه ، وأعمى بصيرته ، ليقوده الشيطان إلى ما فيه شقاوته الأبدية .

يقودني هذا إلى الحديث عن رسالة من ثلاث صفحات ، يبدو أنها تعميمية ، ذيّلت بتوقيع : مصري متنصر يقيم في أمريكا عن جمعية سماها : الصوت الصارخ (١) نيويورك ، وقد أبان عن عنوان هذه الجمعية بالعربية والإنجليزية ، وهو ص. ب ١٠٠٠٨ - نيويورك ، أضعها أمام

---

(١) هذه الرسالة ننشرها في آخر هذا المقال وقد استغرقت ست صفحات من المجلة .

القراء لعل فيهم من هو أقدر مني في النقاش وأمكن في الحوار ، وأبين مني في الإدلاء بالحجة ، وأكثر اطلاعًا على ما في أيدي النصارى من كتب محرّفة ، وما أوضحه ممن أنار الله بصيرته من النصارى فدخل الإسلام ، ليتحدث بنعمة الله عليه ، ويكشف عن ضلالات وخفايا ما يسير عليه أبناء هذه الملة ، فيكون الحوار معهم من باب مخاطبة الناس بما يعرفون مع أن كتاب الله -جل وعلا- ، قد أبان الكثير والكثير جدًا ، من هذا الطريق ، الذي ضاعت فيه النصرانية بسبب الجهل ، والانقياد للرهبان فيما يقولون ويشرعون .

هذه الرسالة موجهة لإحدى دور النشر بالقاهرة في أصلها ، يهاجم فيها الكاتب هذه الدار فيما تنشره من كتب مترجمة لديدات عن المسيحية ، ويتجنى فيها على الداعية أحمد ديدات ، الذي كشف عورات القساوسة في حواره معهم ، حتى لم يجدوا أسلوبًا في الرد عليه إلا بالتشويش ، والتهديد كما في هذه الرسالة التي بين أيدينا ، والتي تضمنت من التهديدات التلويح بما سوف تقوم به جمعيته من ترجمة كتاب رشدي : (آيات شيطانية) إلى العربية لأنه كما قال وبمنظوره الحاقد ، وتهديده الأجوف : كتاب قيم ، و وصفه مؤلفه بأنه الكاتب الكبير ، ومن جهله أو بتجاهله أغفل أن علماء المسلمين حكموا بردته وكفره ، ومعلوم حكم المرتد في شريعة الإسلام .

ولا شك أن الأباطيل والكذب ، والتهديد والحقد ، كلها من أساليب العاجزين ، الذين يتصوّرون أنهم بهذا يخيفون من أمامهم ، ويجعلونهم

يسلمون لهم بما يريدون الوصول إليه ، وما جاء في رسالة هذا الكاتب ما هو إلا تجديد للحقيقة التي أبانتها سورة الفاتحة التي يقرؤها المسلم في اليوم والليلة ١٧ مرة في صلاة الفريضة وحدها : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالّين ﴾ حيث جاء في صحيح مسلم حديث لرسول الله -ﷺ- أبان ما تعنيه دلالة الآيتين : بأن المغضوب عليهم اليهود ، معهم علم ولم يعملوا به ، وأن الضالّين النصارى ، يعبدون الله على جهل وضلال ، وسورة الفاتحة التي هي مناجاة بين العبد وربه ، يسأله فيها العبد بأن يهديه سبحانه للصراط المستقيم ، الذي هو طريق الحق ، ومنهج أولياء الله ، وأن يجنبه طريق هاتين الفرقتين ، لأن المنتمين إليهما أفسدوا ما شرع الله لهم ، وانحرفوا بهذا العمل إلى طريق الغواية والضلال .

أما الغاية التي أراد أن يصل إليها في ختام رسالته المطولة فهي ترتكز في نقطتين :

الأولى : قوله : إنكم تعرفون جيدًا الآيات المذكورة في القرآن التي تثبت ألوهية المسيح وسيرته الطاهرة عند ما كان موجودًا في العالم .. وهذا قول باطل لأن أبسط تلميذ من طلاب المسلمين يرد عليه من نصوص القرآن الكريم بما يكذّب زعمه ، ويبيّن جهله ، وجهل أبناء ملته بنصوص القرآن ، بل إن المسيح ابن مريم عليه يكذب ، هؤلاء الذين ينتسبون إليه زورًا وبهتانًا ، لأن حقيقة الانتساب تعنى الاتباع والتصديق ، أما المخالفة والتكذيب سواء ممن ينتسبون للإسلام ويخالفون كتاب الله ، وما جاء به محمد -ﷺ- ، أو من اليهود والنصارى ، الذين يدعون اتباع

موسى وعيسى ويخالفون ما جاء به عن الله من العبادة الخالصة لله سبحانه وتعالى ، والصدور عما جاءت به رسل الله إليهم ، إذ كل رسول يدعو إلى الإسلام ، لأنه هو دين الله الحق ، الذي لا يقبل من البشر دينًا سواه ، بل إن كل رسول يدعو إلى اتباع محمد -ﷺ- ، وإلى توحيد الله بالعبادة ، وأنه الإله الحق ولا معبود سواه .. وهؤلاء بدّلوا كلام الله ، وقتلوا أنبياء الله ، وخالفوا شرع الله ، وقالوا على الله ما لم يقله .. ، وكلام صاحب الرسالة امتداد لتلك الجذور ، فالقرآن لم يثبت هذه الإلهية ، بل نفاها بشدة ، والمفترين على الله لعنوا بهذا القول ، واللعن هو الطرد من رحمة الله .

قال تعالى في سورة التوبة في إبانة عما يجول في أذهان النصارى ، وما تتلفظ به ألسنتهم من الزور على الله -جل وعلا- ، وعلى عيسى - عليه السلام - : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله • وقالت النصارى المسيح ابن الله • ذلك قولهم بأفواههم • يضاهئون قول الذين كفروا • قاتلهم الله أنى يؤفكون • اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله • والمسيح ابن مريم • وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [الآيات : ٢٨-٣١] .

وقال سبحانه في سورة مريم : ﴿ فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًا • قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا • وجعلني مباركًا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًا ﴾ إلى أن قال سبحانه ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون • ما كان لله

أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [الآيات: ٢٩-٣٥] . ويقول الله سبحانه في أسلوب حواريّ مع عيسى - عليه الصلاة والسلام - ليرد عيسى على النصارى وما قالوه فيه ، وليبين كذب وبطلان ما قالوه واعتقدوه فيه ، وأنه يتبرأ من ذلك أمام خالقه -جل وعلا- : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أ أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله • قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق • إن كنت قلته فقد علمته • تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به • أن أعبدوا الله ربي وربكم • وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم • فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد • إن تعذبهم فإنهم عبادك • وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [١٦-١٨] .

فأي دلالة من هذه النصوص الكريمة في كتاب الله ، مما ذكرنا وما لم نذكر يقرّب ما يزعمه صاحب الرسالة ، وغيره من أبناء ملته ، فضلاً عن دلالته ممن ختم الله على قلوبهم فكانوا يحرّفون كلام الله ، حسبما تصبو إليه ألسنتهم ، ويفسرون المعاني على ما يريدون بأهوائهم ، فهم يفسرون المعجزات التي جعلها الله آية من المعجزات لعيسى - عليه السلام - ، من إحياء الموتى ، وشفاء المرضى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، على أنها صفات خاصة بالألوهية ، لا يمكن لأي بشر عملها ، وغاب عن عقولهم القاصرة ، أن الله يهب من يشاء من خلقه قدرات ومعجزات هي من الله فضل ، ولمن منحها ارتباط بالله ، ودعوة إلى دين الله الحق ليجذب بها من يريد الله هدايته للطريق المستقيم ، ولتكون حجة على من طغى وتجبّر ، فموسى

قد آتاه الله تسع آيات منها العصا التي تتحول إلى حيّة تسعى ، وتلتهم ما قام به السحرة من أعمال ، وابراهيم ألقي في النار فكانت عليه بردًا وسلامًا ، ويونس ألقي في اليم فالتهمه الحوت ، وبقي في بطنه زمنًا يسبح الله ويدعو خالقه حتى ألقاه الحوت على الساحل ، ثم أنبت الله بجواره شجرة يقتات منها رزقًا جاء إليه ، ومحمد -ﷺ- له معجزات كثيرة وكبيرة ، فقد انساب الماء بين أصابعه حتى شرب واستقى أصحابه وهم كثير ، وانشق له القمر ، بل إن قصة الإسراء والمعراج ، وقصة الهجرة إلى المدينة ، كلتيهما ملآي بالمعجزات البينات .

والقلب السليم هو الذي يقبل الإقناع ، وينقاد إليه ، وكم من النصارى دخلوا الإسلام بالنقاش الهادئ ، والتبصير السليم ، ذلك أن تعاليم الإسلام تخاطب بشاشة القلوب ، وتتلمس الإقناع بما يلائم مدارك العقول المتفتحة ، فهذا النجاشي ، وهو أول ملوك النصارى في بلاد الحبشة استجابة لدعوة محمد -ﷺ- عند ما هاجر إليه مجموعة من صحابة رسول الله ، فرارًا بدينهم من طغيان جبابرة الكفر في مكة ، نراه يسمع من الصحابة ما جاء من الله على لسان رسول الله ، وينفتح قلبه لما في سورة مريم من توضيح لحقيقة عيسى - عليه الصلاة والسلام - ، فيقارن هذا بما في صحيح النصرانية من تبليغ ، وما جاء به عيسى من بشارة بمحمد فيسلم ليكون له الفوز الأخروي ، وهذا ورقة بن نوفل وكان من نصارى العرب ، لما أبلغته خديجة عما رآه رسول الله -ﷺ- في بدء الوحي ، ولما سمع من الرسول توضيح ذلك قال : هذا هو الناموس الأكبر الذي نزل على موسى ، لئن بقيت حيًا لأنصرنك نصرًا مؤزرًا ،

وهذا ملك الروم لما سأل أبا سفيان عن رسول الله ودعوته ، قال بعد ما سمع كلامه ، حسبما ذكره ابن كثير في تاريخه : كنت أعلم أنه خارج ، ولكن لم أكن أظن أنه فيكم ، ولو أعلم أنى أخلص إليه لتجشّمت لقيه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، و لئن كان حقًا ما تقول ، ليملكن موضع قدميّ هـاتين ، و كذلك وقع و الحمد لله [٢ : ٣٤٥] .

ولو لا ضيق الحيّز لسرت مع صاحب الرسالة وأمثاله في مناقشة أقواله بآراء مدعومة بالدليلين العقلي ، الذي يخاطب أبناء عصر التكنولوجيا والنظريات العلمية ، بما يفهمون حيث هدى الله بذلك عقولاً غافلة ، وفتح الله قلوبًا مقفلة ، فاستجابوا لداعي الحق ، وانقادوا إلى شرع الله السليم ودينه السليم : الإسلام الذي لا يقبل سبحانه من البشر دينًا سواه ..

والنقليّ من كتاب الله وسنة رسوله وأقوال المستقيمين على الدرب الصحيح قديمًا وحديثًا ، وفي قصة سلمان الفارسي واتصاله برهبان النصارى ونصيحتهم له ، أكبر دليل على إدراك عقلاء النصارى أن دين الإسلام الذي جاء به محمد -ﷺ- هو الناسخ لليهودية والنصرانية ، وأنه الدين الحق الذي يجب اتباعه .

أما النقطة الثانية : فهي في تكراره التحذير بالسماح بطبع ونشر أي رد على النصرانية ويسميها الكتب الهابطة ، ثم يتهدد بما سيضطر إليه إن لم يُستَجَب لتحذيره .. ولهذا موقف آخر إن شاء الله تعالى .

أطلقوا الموت الواثق :

مما ذكر التنوخي في قصصه التي يريد منها العظة والتسلية ، قال : حدثنا محمد بن عيدوس ، في كتاب الوزراء ، حدثني الحسين بن علي

الباقطائي ، قال : حدثني أبي ، قال : قال لي أحمد بن المدبِّر .. لما أمر محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بحبستي أدخلت محبسًا فيه أحمد بن إسرائيل ، وسليمان بن وهب ، وهما يطالبان ، فجعلت في بيت ثالث ، ولم يشدد علينا في الحبس ، فكنا نتحدث ونأكل جميعًا ، وربما أدخل إلينا بعض الشراب فنشرب سويًا .

وكان أحمد بن إسرائيل شديد الجبن ، وكان ينكر علينا ويمنعنا أن نتحدث بشئ أو نرجو لأنفسنا أمرًا ، فجاءني يومًا سليمان بن وهب ، فقال لي : رأيت البارحة في نومي ، كأن قائلاً يقول لي : يموت الواثق إلى ثلاثين يومًا ، فقم بنا إلى أبي جعفر نحدِّثه .

فقلت : والله إن سمع بهذا أبو جعفر ، ليشقنّ ثوبه ، وليسدن أذنه خـــوفًا .

فقال لي : قم على كل حال ، فقمنا فدخلنا عليه ، فأخبره سليمان بما رأي ، فقال له : يا هذا ، أنت أجسر الناس ، وأشدهم جناية على نفسك وعلينا ، إنما تريد أن يسمع هذا فنقتل .

فقال له : فتكتب هذه الرؤيا عندك ، لنمتحن صدقها ، فنفر وقال : أنا لا أكتب مثل هذا ، فكتبته في رقعة صغيرة .. فلما كان يوم الثلاثين ، دخل علي أحمد بن إسرائيل فقال لي : يا أبا الحسن ، هذا يوم الثلاثين ، فأخرجت الرقعة ، فإذا هو قد حفظ اليوم ، ومضى يومنا إلى آخره ، فلما كان الليل ، لم نشعر إلا والباب يدقّ دقًا شديدًا ، وصاح بنا صائح : البشرى قد مات الواثق أخرجوا ، فقال أحمد بن إسرائيل : قوموا بنا ،

فقد حقق الله الرؤيا ، وأتانا الفرج ، وصدقت الرؤيا . فقال سليمان بن وهب : كيف نمشي مع بعد منازلنا ؟ ولكن نوجه من يجيئنا بما نركب .

فاغتاظ أحمد بن إسرائيل ، وقال : نعم ، نقعد ، حتى يجلس خليفة آخر ، فيقال له : إن في الحبس جماعة من الكتاب عليهم أموال ، فيأمر بالتوثق منّا ، إلى أن ينظر في أمرنا ، قم عافاك الله ، حتى نمرّ ، فخرج وخرجنا على أثره .

فقبل أن نخرج من باب الهاروني ، سمعنا رجلين يقول أحدهما للآخر : سأل الخليفة جعفر المتوكل عمن في الحبس ، فقيل : فيه جماعة من الكتاب . فقال : يكونون فيه إلى أن ننظر في أمرهم .

فجددنا في المشي ، وقصدنا غير منازلنا ، واستترنا ، وبحثنا عن الأخبار ، فبلغنا أن الخليفة ، قد أقرّ محمد بن عبد الملك الزيات في وزارته ، فكتبت إليه رقعة عن جماعتنا ، نعرفه خبرنا واتساع آمالنا فيه ، ونستأذنه فيما نعمل .

فلما وصلت إليه الرقعة ، وقّع على ظهرها : لم استخفيتم ؟ وليس منكم إلا مَن عنايتي تخصه ، ورأيي فيه جميل أما أبو أيوب ، فقد تكلم في حقه أبو منصور إيتاخ ، واستوهبه فوهب له ، وأمرت بإحضاره ليخلع عليه ، فليحضر ، وأما أبو جعفر فإنه طولب بما لا يلزمه ، وقد وضحت حجته في بطلانه ، فليصر إليّ ، وأما أبو الحسن ، فإنه قذف بباطل .

فاظهروا جميعًا واثقين بما عندي من حياطتكم ورعايتكم .. فصرنا إليه جميعًا ، وزال عنّا ما كنا فيه ، فخلع على سليمان خاصة .

[٢ : ٢٥٩-٢٦١]

الصوت الصارخ

جماعة المسلمين للمسيح - صندوق بريد : ١٠٠٠٨ - نيويورك

السيد علي عثمان - طرف المختار الإسلامي للنشر والتوزيع - القاهرة

بعد التحية - لقد كانت لنا فرصة قراءة كتاب من (مكتبة ديدات - ١١) بعنوان : « الله في العقيدة المسيحية » - ولم تذكروا - بعد أن ادعيتم انكم ترجمتم هذا الكتاب - بأي لغة ترجم - وإننا نعلم أن الخواجة أحمد ديدات لا يعرف اللغة العربية وهو من جنوب أفريقا فهل كانت أصل اللغة الإنجليزية أو لغة أخرى من لغات البربر السواحيلي أو الهلاهيلي بجنوب أفريقا - ولكن يخيل إلينا أن هذا الكتاب (من بنات أفكارك) و وضعت عليه صورة هذا الخواجة حتى يباع بسرعة في مصر -والله أعلم - .

ولقد لاحظنا بأنه هناك كتب كثيرة تباع في مصر منسوبة لهذا الخواجة ، وكلها هجوم وافتراء على الدين المسيحي وشخصية المسيح ، ومترجمة ببعض الكتاب المصريين - وطبعا تشرفت إدارة النشر بالأزهر بالمراجعة والموافقة على الطبع طالما أنها لا تتعرض للدين الإسلامي الحنيف ؟ - ويخيل لي بأن الخواجة ديدات يجيد اللغة الإنجليزية كما يوجد كثير من أتباعه في مصر يجيدون هذه اللغة أيضًا لتفرغهم لترجمة كتبه العديدة - ومنهم سيادتكم ؟ - ولقد ذكرتم في مقدمة الكتاب (سنناقش ذلك بهدوء مراعين اتخاذ كل طرق البحث العلمي حتى يتسنى لنا إظهار هذه العقيدة للناس جميعًا ولإقامة الحجة عليهم ولدحض شبهاتهم التي بها يدافعون عن عقيدتهم ويذبون عن أنفسهم براثن الكفر

والإلحاد وينفونه عنهم بالرغم من أنهم وحلوا في الكفر وغرقوا في براثن الوثنية اللادينية واستقوا من عقائد الوثنية من البوذية وغيرها والفلسفة الاغريقية الوثنية ما جعلوا منه دينًا وثنيًا الله سبحانه وتعالى شأنه منه بريئ وعيسى منه بريئ .

نحن نقدر تحمسك هذا ودفاعك عن الله والمسيح - ولكن إن كنت صحيحًا تريد إظهار الحق بالبحث العلمي أنت والخواجة ديدات وغيركم ممن يجيدون الترجمة واللغة الإنجليزية وتريدون إظهار الحق - فلماذا لا تحاولون الرد على الكتب بهذه اللغة أو لغات أخرى والمنتشرة في العالم كله والتي تتعرض للدين الإسلامي ولمحمد وزوجاته الاثنتى عشرة وسيرته « المخجلة » مع النساء عامة وأهمها كتاب « آيات شيطانية » من تأليف الكاتب الكبير الهندي والمسلم « سلمان رشدي » - والذي جاء وقت باع منه اللايين وترجم ولا يزال يترجم بلغات كثيرة - حتى اليابانية - وكم نسخة طبعت ، أو غيرك من تلاميذ الخواجة ديدات من كتبه الهابطة بالمقارنة إلى كتاب « سلمان رشدي » ؟

قد يكون لكم عذر لأنكم لم تقرأوا هذا الكتاب - وإنني يسرني أن أورد لكم ما جاء (والمهم) في هذا لكتاب القيم باللغة الإنجليزية حتى تتكاتفوا أيها المسلمون والدعاة الغيورون وتردوا عليه :

صفحة ١١٠ (Satanic verses page 110) المؤلف يستهزئ بالإسراء والمعراج ويدعى أنها قصة من خيال محمد :

"Mohamed asked Archangel Gibreel : They were showh miracles but they didn't believe. you saw you came to me. in full view of the city. and open my breast. they saw you wash my heart in the waters of Zamzam and replace it inside my body. And when you came at night and flew me to Jerusalem and I hovered above the holy city. didn't I return

and describe it exactly as it is. accurate down to the last detail. On the return journey I met Moses and he said. the burden is too heavy go back and plead for less in his bounty he asks for five instead of forty".

هل حقيقة أخذ الملاك جبرائيل قلب محمد وغسله في مياه زمزم ؟ وهل يوجد شخص في العالم يصلي أربعين مرة في اليوم - إنها دروشة وهلوسة دينية ؟

صفحة ١١٩ (Satanic Verses page 119) المؤلف يذكر بأن محمدًا يضاجع الذكور ويزني وهو عريان مع امرأة اسمها هند (زوجة أبو سفيان وارملة عم أمير المؤمنين عثمان بن عفان) :

"He (Mohamed) recognizes Hind's voice sits up and finds himself naked beneath the creamy sheet. He asks Hind (Was I struck ?) Hind says (Oh Messenger. Messenger. she mocks him : Couldn't you have come to my room consciously. of your own will ? She gose on "My last lover was the boy. Baal. I heard he had got under your skin. But he doesn't matter. Neither he nor Abu Simbel is your eoual. But I am" .

صفحة ١٢٤ (Satanic Verses page 124) المؤلف يذكر بأن الشيطان يضحك على محمد ويقنعه بأنه الملاك جبرائيل ويعطيه بعض الآيات الشيطانية والتي وردت في القرآن الحقيقي ثم أزيلت بعد ذلك ؟ :

"He (mohammed) stands in front of the statues of the Three and announces the abrogation of the verses which Shaitan whispered in his ear. These verses are banished from the true recitation. al-Quran. New verses are thundered in their place".

كان هذا الباب الثاني من الكتاب بعنوان (محمد) صفحة ٨٩ . ثم انتقاد بعد ذلك إلى صفحة ٣٥٧ . الفصل الخامس (الرجوع إلى الجاهلية) نورد لكم بعض الفضائح :

صفحة ٣٦١ (Satanic Verses page 361) المؤلف يذكر بأن هند تقتل عم محمد (حمزة) بالسيف تأكل الكبد والقلب نكاية في محمد الذي قتل

شقيقها واضطجع مع كثير من الكتاب في المدينة :

"Hinds posters were more influential that any poet's verses . She was still sexually veracious and had slept with every writer in the city as she was rampant. Hind, who butchered the prophet's uncle, and ate old Hamza's liver and his heart" .

صفحة ٢٦٩ (Satanic Verses page 369) محمد كان يشرب النبيذ

ويسكر ثرثارا :

"Mohamed was coming and Salman said maybe he would never kiss another woman. Why has this chatterbox drunk come to me ?"

صفحة ٢٧١ (Satanic Verses page 371) هند تعتقد بأن محمدًا نبي كذاب ودجال - وتحاربه بقوة لتحرير الجاهلية :

"Hind herself is prepared to fight beside them and die for the freedom of Jahilia. Will you merely lie down before this false prophet, this Dajjal?"

صفحة ٢٨٠-٢٨٧ (Satanic Verses page 380-387) فضيحة عائشة مع (الشاب الوسيم) صفوان - وكيف اعتدى عليها هذا العجوز وهي طفلة وانتزع بكوريتها في سن ١٢ عامًا (نفس القصة في كتاب « نساء النبي للسيدة عائشة عبد الرحمن ») :

"Musa the grocer asked Ayesha and she whispered in his ear. She told him and he asked about her deflowering at the age of twelve and she told him that. Ayesha and the prophet had gone on expedition to a far village, and on the way back to Yathrib she was obliged by a call of nature. When she returned back after relieving, she found herself alone. A young man, a certain Safwan brought Ayesha to Yathrib, two young people had been alone in the desert for many hours. Safwan was a handsome fellow, and the prophet was much older; at which point tongues began to wag" .

صفحة ٢٨٦-٢٨٧ (Satanic Verses page 386-387) جبرائيل يوهم محمدًا بآيات يسمح فيها الله تعالى له أن يضاجع أي عدد من النساء كما يحلو له - عائشة تعارضه وتقول له « ربك لاهم له إلا للعمل لمزاجك »

وهذا ما نفذه محمد عند ما أخذ قريبته الجميلة من ابنه : كتاب نساء النبـــــي (عائشة عبد الرحمن) ص/١٦٥ « زواج بأمر الله - أي بالوحي ؟؟؟

"Gibreel had recited verses giving him (Mohamed) full divine support. God's own permission to fuck as many women as he liked. Ayesha said "Your God certainly jumps to it when you need him to fix things up to you"

وهناك فضائح أخرى كثيرة وردت في هذا الكتاب القيم (آيات شيطانية) لا نرغب في ذكرها هنا حفاظا على شعور اخوتي المسلمين والذين أكن لهم كل محبة واخلاص - ولا يخفي عليكم سمعة المسلمين في العالم أجمع من توالي أعمال الإرهاب الإسلامي في مصرنا العزيزة - هذا الإرهاب الذي يتكلم عنه كثير من الاعلام الغربي - آخرها بيان الأحداث الخطيرة الأخيرة في أمبابة (النيويورك تائمز العالمية بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٩١) مما يسئ إلى سمعة مصر في الخارج - والغريب أن توافق لجنة النشر بالأزهر على طبع مثل هذه الكتب الهابطة والتي تهيج هذه الجمعيات الإرهابية وأين هي وزارة الاعلام ؟ وأصبحت دولة داخل دولة - ويحرق الصبية والفتيات بيوت الله (لعب عيال) باشراف رجال الأمن والمطافي ؟

والغريب في موضوع تأليف الكتب التي تمس الدين الإسلامي وشخصية محمد أمثال (آيات شيطانية) أن يدعى مؤلفوها بأن مصادرهم هي (القرآن ، الحديث الشريف ، السيرة لابن هشام ، تاريخ الطبري ، الإصابة ، لابن حجر ، السمط الثمين ، طبقات ابن سعد .. إلخ) فهل هذا صحيح ؟ وإذا كان العكس صحيحًا فلماذا لا تردون عليهم بدلاً من تأليف كتب لا تفيد الإسلام في شئ ؟

وإنني - يا صديقي - اكتفي بهذا وإنكم تعرفون جيدًا الآيات المذكورة في القرآن والتي تثبت ألوهية المسيح وسيرته الطاهرة عند وجوده في العالم -ومما يثبت أيضًا عدم وجود أي تحريف في كتب الله - وإن المعجزات التي عملها له المجد ، من إقامة الأموات وشفاء الأمراض المستعصية وفتح عيون العميان وتطهير البرص إلخ .. لا يمكن لأي نبي بشر عملها - وكنت أود ذكرها لك إلا أن وقتنا الثمين نشغله في الطواف في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ومستقبلاً في أوربا لجذب أكبر عدد ممكن من اخوتي المسلمين إلى حظيرة المسيح - كما ارغب وأتمنى الخلاص لجميع المسلمين - وأنت أولهم - بالإقناع والمعجزات - كما خلصني المسيح - وأقول لكم (تعالوا جميعًا بالروح للمسيح المجروح والمصلوب من أجلكم ولكي يفديكم والذي أنتم تعبدونه دون أن تدروا) .

لك مني تحية مسيحية وإلى اللقاء في مناسبة أخرى ...

المخلص دائمًا

مصري متنصر يقيم في أمريكا

عن جمعية المسلمين للمسيح

الصوت الصارخ - نيو يورك

[نيويورك تائمز بتاريخ ١٢/يولية ١٩٩١م]

٧٧٧

المعلم و العلم الحديث

[الحلقة الثانية الأخيرة]

بقلم : دكتور محمد مسلم خان
المدرس في كلية الجماعة بزاريا - نيجيريا

و إليكم الآن بعض الأمثلة على سبيل المثال :

الأمثلـــــة للعلوم الحديثة التي نفعت في فهم القرآن الكريم وسيرة الرسول الكريم -ﷺ- :

١- يقول الله -عزوجل- : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾ [سورة النحل ، الآية : ١٦] ، إن وسائل النقل والحمل كانت محدودة في الخيل والبغال والحمير والإبل في وقت نزول القرآن الكريم ، ولكن الله أخبر بأنه سوف يخلق وسائل النقل ما لا يعلمون بعد ، فاختراع السيارات والطيارات والقطارات حقق أخبار الله إلى حد ما ، لأننا لا ندري ماذا يكسب الإنسان غدًا ، وماذا يخلق الله لنا من وسائل النقل في المستقبل .

٢- يقول الله -عزوجل- : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ١] .

ويقول : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ﴾ [سورة النجم ، الآية : ٥٣] فاختراع الصواريخ وقدرة الناس على الصعود إلى كرة القمر ونزولهم على سطحها ، كل ذلك برهن على ان صعود النبي

-ﷺ- إلى السماوات السبع وإلى سدرة المنتهى لم يكن أمرًا مستحيلاً .

٢- روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله -ﷺ- أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا : إن محمدًا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون [مسلم باب الإسراء - وكذا في الرحيق المختوم : ص/٦٥] .

فكان سلفنا يقرأون هذا الحديث ويؤمنون به كمعجزة النبي -ﷺ- وأما المعارضون والملحدون فكانوا يستهزؤن به ويعتبرونه من الخرافات الدينية التي نجمت في الإسلام من غلو المسلمين وفرط حبهم لمحمد -ﷺ- .

لأن القلب مقر الروح والروح حياة فشق الصدر واستخراج القلب من الجسم يسبب فصل الروح من الجسم وما ذلك إلا موت ، إذن هذا أمر مستحيل عقلاً وغير واقع فعلاً .

ولكن التقدم العلمي في الطب والعلاج واختراع آلات دقيقة مكنا الإنسان أن يشق صدر الإنسان وأن يستخرج قلبه ويجرح فيه ويرده في مكانه أو يبدله بغيره من القلب البلاستكي الصناعي ثم لا يموت الإنسان ، فذهب الاستغراب وغلبت الاستحالة وبهت الذي كفر .

٤- يقول الله -عزوجل- : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ [سورة ق] ويقول : ﴿ وإن عليكم لحافظين كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ [سورة انفطار] ويقول : ﴿ يا ويلنا ما لهذا الكتاب لا يغادر

صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا ﴾ [سورة الكهف] .

إن تسجيل الأصوات والأفعال والحركات والانفعالات كان من غريب ما آمن به المؤمنون وارتاب فيه المذبذبون وأنكر به الكافرون ، ولكن اختراع آلات التسجيل والفوتوغرافات لتصوير الأصوات والأعمال والحركات دحض حجج المبطلين وقطع نزاع المعاندين وشرح صدور المؤمنين والحمد لله رب العالمين .

٥- نقل التاريخ أن عمر بن الخطاب نادى مرة من فوق محرابه بالمدينة المنورة جيشه الذين كانوا يقاتلون بالشام قائلاً : يا سارية الجبل ! أي انسحبوا إلى الجبل واجعلوه وراءكم ، سمع هذا النداء في ساحة القتال مع بعد مئات من الأميال فكان هذا أيضًا من الخرافات عند المنكرين ولكن اختراع الوسائل لنقل الأصوات والرسائل من مكان إلى مكان ومن قارة إلى أخرى بل من كوكب إلى كوكب عن طريق القمر الصناعي جعل الأمر ممكنا ومفهومًا .

٦- يقول الله -عزوجل- : ﴿ ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ [سورة الذاريات] ويقول : ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ [سورة ياسين] .

فكانت الزوجية مفهومة في ذوات الأزواج وأما في النبات وفيما لا نعلم من الجماد والذرات لم تكن الزوجية معلومة مألوفة ، من أجل ذلك فسر علماؤنا السابقون الزوجية فيه بالأصناف وبالمقابلات ، كما قال السيوطي - رحمه الله - : « صنفين كالذكر والأنثى والسماء والأرض والشمس

والقمر والسهل والجبل والصيف والشتاء والحلو والحامض والنور والظلمة » [جلالين ، سورة والذاريات] .

ولكن علم النبات وعلم الطبيعة والفيزيا الحديث أثبت ان الزوجية الحقيقية موجودة في النبات كسائر الحيوانات وإن للنبات لحياة ومتطلبات الحياة سواء بسواء مع سائر الحيوانات كالتنفس والتغوط والتناسل والتلاقح وما إلى ذلك ، وأما في الجماد والذرات ففيها أيضًا توجد الزوجية وذلك في صورة الإيجاب والسلب والتعادل ما يسمى بالالكترون والبروتون والنيوترون ، وهذه الكهارب الثلاث تشكل ذرة وهي فيها كالذكورة والأنوثة .

٧- يقول الله -عزوجل- : ﴿ أ لم تر كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير ﴾ [سورة العنكبوت] ويقول : ﴿ كل من عليها فان • ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [سورة الرحمن] .

كان الفلاسفة الأقدمون من الاغريق كأرسطو (٣٢٢-٣٨٤ق م) و سقراط (٣٩٩-٤٧٠ ق م) وأفلاطون (٣٤٧-٤٢٨ ق م) يزعمون أن الأرض مكونة من (الهيولي) يعني المادة الأولى التي لا تقبل التحليل والتجزئة وبالتالي لا تقبل الدنيا الفناء والزوال من حيث المجموع وكان الناس يقولون بمقالتهم قرونًا من الزمن ، ولكن العلم الحديث برهن على أن الأرض مكونة من الذرات والذرات قابلة للتقسيم والتجزئة إلى ما مضى من الالكترون والبروتون والنيوترون فالذرة بذاتها لا يمكن أن تُشاهد ، ولو بالمنظرة المكبرة فكيف إلى هذه الكهارب الثلاث . فالذي استطاع أن يخلق الروابط بين الذرات يستطيع أن يفكها متى شاء . ثم يعيدها متى

شاء وكما شاء . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب • إن الله على كل شئ قدير ﴾ [سورة النحل] ويقول : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ • إنه خبير بما تفعلون ﴾ [سورة النمل] ويقول : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ [سورة ابراهيم] .

الخرافات العلمية يجب رفضها و الرد عليها :

ثم إن هناك خرافات علمية . قلت : خرافات علمية . لأنها في الحقيقة خرافات كان ينبغي أن لا ينطق بها العقلاء ، ولكنهم قالوا : وبل عرضوها على الناس في لباس العلم كأنها حقائق علمية ، و إليكم لذلك بعض الأمثلة :

١- ومن ذلك فلسفة النشوء والتطور . زعم زعيم هذه الفلسفة أو النظرية وهو عالم الطبيعة البريطاني المعروف بـ داروين ، زعم هذا العالم اليهودي بأن الناس لن يخلقهم الله من آدم وإنما خلقهم من أصل القرد على طريقة التطور والنشوء والارتقاء خلال مليون من السنة . فلقد تطور الإنسان في خلقه كما تطور في دينه . فإنه لم يكن له في بدء الأمر دين . فاخترع دينا وطوره من الشرك إلى التوحيد ومن الآلهة إلى إله واحد . كما طور حياته من البدائية إلى الحضارة ومن الفوضوية إلى النظام . وجاء من بعده عالم نمساوي بعلم النفس فزاد الطين بلة قائلاً : إن الخُلق في الإنسان أمر اصطناعي والحيوانية ما زالت هي طبيعة الإنسان .

هذا كله خرافات تخالف طبيعة الإنسان وكرامته وعقله ومكانته

الاجتماعية بين سائر الخلايق ، من أجل ذلك قال بها الناس برهة من الزمن ، ثم تركوها كما تركوا الشيوعية بعد فشلها في النظام الاقتصادي . فقد قرر الإسلام وكذلك سائر الأديان السماوية بأن الله خلق بقدرته آدم من تراب إنسانًا ، كامل العقل والدين ، وأعطاه العلم والذكاء ، ثم خلق زوجه ، ثم خلق منهما رجالاً كثيرًا ونساءً ﴿ ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ [سورة الإسراء] .

٢- ومن ذلك قولهم : لا وجود للسماء وكل ما نشاهد فوقنا فهو الخلاء والفضاء فحسب ، لأن الآلات الراقية والمعدات المتطورة لا تجد شيئًا من وجود السماء .

فنقول لهم : إن عدم العلم لا يدل على عدم الوجود ، فإن لم تستطيعوا أن تدركوا وجود السماء بآلاتكم ، فهذا يدل على عجزكم ، والعجز ليس بعلم ، وقد أخبرنا الصادق المصدوق بأنه صعد السماوات وشاهد بعض عجائبها وكفى مشاهدته لنا شهادة ، وقد قرر الوحي من السماء بأن الله خلق سبع سماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام .

٣- ومن ذلك قول الأحمديين : إن عيسى - عليه السلام - مات موتًا طبيعيًا ، ومن مات فات ولن يعود أبدًا ، ويقولون : إن الدراسة والتحليل العلمي لبعض الآثار القديمة التي وجدت مؤخرًا في الكهوف والمغارات تدل على ذلك .

فنقول هذه الدراسة دراسة زنديقية لأن الدارس قرر رأيه وعقيدته في موت عيسى قبل أن يبدأ بالدراسة لأنه أحمدي وموت عيسى عقيدته ،

ولن يمكن له أن يترك عقيدته بأي ثمن كان ، فمن أين له اليقين بأن الآثار التي أجريت عليها الدراسة هي آثار عيسى ابن مريم ، ثم ما الصلة بين هذه الآثار وبين موت عيسى ابن مريم ، فالمعلم الواعي والمسلم الصحيح ، لن يترك بسبب هذه الخرافات ما قرره صريح القرآن ونصوص الحديث في حياة عيسى ورفعه إلى السماء ونزوله قبل الساعة إمامًا عادلاً .

ولن يكون الرفع هنا رفع المكانة لأن الآية نزلت ردًا على اليهود الذين زعموا انهم صلبوا عيسى وقتلوه فالتفوّه برفع المكانة إثبات لزعم اليهود لا الرد عليهم ، وقد ورد عن الحسن البصري - رحمه الله - مرسلاً رفعه إلى رسول الله -ﷺ- قال : قال رسول الله -ﷺ- لليهود : « إن عيسى لم يمت وأنه راجع إليكم قبل يوم القيامة » [نقله الحافظ ابن كثير في تفسيره - كذا في التصريح] .

أمور لا ينبغي أن ينكره المعلم :

وهناك أمور لا ينبغي لمعلم الدين أن يبادر إلى الإنكار بها ، وإليكم بعضها :

١- صعود الناس إلى أرض القمر ونزولهم على سطحه ، هذا أمر لا ينكر عليه ، لأنه ليس لدينا دليل قاطع من القرآن أو الحديث يدل على أن هذا مستحيل أو يخالف الدين ، وإنه من المعلوم ان القمر تحت سماء الدنيا لقوله تعالى : ﴿ ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين ﴾ وكذلك قوله تعالى : ﴿ وجعل القمر فيهن نورًا ﴾ [سورة نوح] وكلمة « فيهن » معناها في وسطهن ولا يكون في وسطهن إلا إذا كان تحت سماء الدنيا ، فما دام القمر تحت سماء الدنيا فلا مانع من الصعود إليه

عقلاً ونقلاً .

٢- ومن ذلك قولهم : إن الأرض كروية ، وليست بمسطحة ، وهذا لا ينبغي الإنكار عليه ، لأنه قد ثبتت استدارة الأرض بالعلم والمشاهدة ، وأوضح دليل في ذلك اختلاف المواعيد ليلاً ونهارًا في بلدان العالم الشتى ، فحينما تطلع الشمس في نيجيريا تغرب في اليابان وفي أمريكا ما زال نصف الليل ، وأما قوله تعالى : ﴿ والأرض فراشًا ﴾ فذلك على حسب مشاهدتنا ، والقرآن الكريم يأتي بتعبير على حساب المشاهدة والتمتع فنحن أينما نذهب من الأرض نشاهد بأعيننا أنها كالفراش مسطح ، وأما الاستدارة ولو كان حقيقة فإنما هي أمر علمي أكثر مما يكون ملموسًا ، مثله كمثل قوله تعالى عن ذي القرنين : ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ ومن الظاهر لا تغرب الشمس في عين أو بحر إلا على حسب مشاهدة الناس .

٢- ومن ذلك قولهم : إن الأرض تدور حول الشمس ، لا ينبغي لعلم الدين أن ينكر على هذا ، لأن الشمس أكبر من الأرض حجمًا وجاذبية فمن البديهي أن يدور الأصغر حول الأكبر ، وأوضح دليل على هذا اختلاف مواسم السنة ، وذلك على حسب بعد الأرض من الشمس وقربها وقت دورانها حولها ، وأما قوله تعالى : ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ﴾ فهذا الجريان ليس حول الأرض ، وإنما لمستقرها فلكها أو المكان الذي تستقر فيها يوم القيامة . - والله أعلم -.

تلخيص القول :

يمكن أن نلخص هذه العجالة على ما يلى من النقط :

(١) إن العلم حضارة إنسانية لا يصلح لأحد من الشعوب أو الأمم أن يدعى بحيازته .

(٢) الأمم والشعوب ساهموا منذ قرون وعصور في تقديم العلم الحديث إلى المستوى الحالي مع تفاوت مساهمتهم حجمًا وقيمةً وخيرًا وشرًا .

(٣) ساهم الإسلام في العلم الحديث والحضارة الإنسانية مساهمة فعالة بنّاءة لا يستهان بها أبدًا .

(٤) صبغ الإسلام العلم الحديث بصبغة الدين وأصلح ما كان فيه من الفساد واستعمله في خدمة الإنسان وبناء المجتمع الإنساني الأفضل بينما استعمله كثير من الشعوب في هدم العقيدة وصرف الإنسانية إلى الحيوانية .

(٥) يرغب الإسلام في طلب كافة أنواع العلوم النافعة ويجعله عبادة إذا حسن الطلب والاستعمال .

(٦) ينبغي للمعلم أن يكون واعيًا ملماً بما يجري حوله في العالم من التقدم العلمي ، فيقبل خيره ويرفض شره .

(٧) العلم الحديث أعان ولم يزل يعين في فهم بعض الأمور الدينية فهمًا واضحًا .

(٨) في العلم الحديث ما يجب رفضه إذ أنه من الخرافات العلمية ومنه ما لا ينبغي أن ينكر عليه .

دراسات في السنة :

الأحاديث الضعيفة والموضوعة في التفسير بالمأثور

وموقف العلماء منها

بقلم : سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة
أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون - جامعة قطر

المبحث الثالث : أسباب الضعف في التفسير بالمأثور :

لقد دخل الوضع والكذب في الحديث ، فلا جرم أن دخل في التفسير بالمأثور ، فقد كان التفسير جزءًا من الحديث وبابًا من أبوابه ، ومن المعلوم أن الحديث كان هو المادة الواسعة التي شملت جميع المعارف الدينية تقريبًا ، لأنه كان يقوم على الرواية ، التي هي الأصل في نقل جميع العلوم الدينية واللغوية والأدبية (١) ، وإن أقدم كتاب وصل إلينا في الحديث وهو : مؤطأ الإمام مالك اشتمل على « كتاب التفسير » وقد سار على هذا بعض المؤلفين في الحديث ، حتى بعد أن انفصل التفسير بمعناه الفني الدقيق ، وصار علماً مستقلاً ، والضعف والوضع في التفسير بالمأثور يرجع إلى الأسباب الآتية :

١)- ما دسه الزنادقة من اليهود والفرس والرومان وغيرهم في الرواية الإسلامية فقد دخل هؤلآء الإسلام وهم يضمرون له الشر والعداوة والكيد ، وتستروا بالإسلام بل بالغ بعضهم في التستر فتظاهر بحبّ آل بيت النبي -ﷺ- ولما كانوا لا يمكنهم مواجهة سلطان الإسلام لا عن طريق الحرب والعداوة السافرة ، ولا عن طريق الحجة والبرهان ، فقد توصلوا إلى أغراضهم عن طريق الوضع والاختلاق والدس في المرويات الإسلامية

عن النبي -ﷺ- وعن الصحابة ، والتابعين ، وكان للتفسير نصيب كبير من هذه الأحاديث (٢) .

قال ابن قتيبة (٣) : « الحديث قد دخله الشوب والفساد من وجوه ثلاثة : الزنادقة ، واحتيالهم للإسلام ، وتهجينه ببث الأحاديث المستبشعة ، والمستحيلة ، كالأحاديث التي قدمنا ذكرها من عرق الخيل ، وعيادة الملائكة ، وقفص الذهب على جمل أورق ، وزغب الصدر ونور الذراعين ، مع أشياء ليست تخفي على أهل الحديث » (٤) .

٢)- الخلافات السياسية والمذهبية : فقد سولت هذه الخلافات لأرقّاء الدين ، وضعفاء الإيمان أن يضعوا أحاديث تؤيد مذاهبهم وأحاديث في فضائل متبوعيهم ، وفي مثالب مخالفيهم .

قال حماد بن زيد : « وضعت الزنادقة أربعة عشر ألف حديث ، ولما جيء بعبد الكريم بن أبي العوجاء ، خال معن بن زائدة ، الذي قتله محمد بن سليمان بن علي العباس ، أمير البصرة ، بعد سنة مائة وستين في زمن المهدي ، اعترف حينئذ بوضع أربعة آلاف حديث ، يحرم فيها الحلال ، ويحلل فيها الحرام ، وكان عبد الكريم هذا متهمًا بالمانوية ، وكان يضع أحاديث بأسانيد يغترّ بها من لا معرفة له بالجرح والتعديل ، وتلك الأحاديث ضلالات في التشبيه والتعطيل وبعضها بعيد عن أحكام الشريعة (٥) ، كما كان ينتمي إلى الرافضة في الظاهر ، و وضع لهم الأحاديث التي اغتروا بها (٦) ، وقد كان الزنادقة حملوا الكثير من الخرافات والأباطيل ، مما هو مسطور في كتبهم ، ودسوها في الرواية الإسلامية ، وفسروا بها بعض الآيات القرآنية ، ونسبوها زورًا إلى النبي -ﷺ- ، أو الصحابة ، والتابعين ، فجاء من لا يعلم الحقيقة فطعن في

الإسلام بسبب هذه المرويات الباطلة (٧) .

٢)- القصاص : فقد كانت هناك فئة تقص بالمساجد ، وتذكر الناس وترغبهم وترهبهم ، و مـــا كان هؤلآء من أهل العلم بالحديث ، وكان غرضهم من ذكر القصص استمالة العوام ، ودخلوا إلى قلوب أولئك البسطاء بتلك الغرائب التي تخلب عقولهم وتدور برؤوس كل من كان على شاكلتهم في كل عصر ومصر ، حتى أفسدوا كثيرًا من العقول ، وجعلوا من هؤلآء الناس عبئًا على الدين وأهله وسبة في تاريخ هذه الأمة ، ولا يكاد زمن من الأزمنة يخلو ممن يسيرون على قدم هذا الصنف من الوضاعين ، الذين يلذ لهم أن يتحفوا العامة بتلك الموضوعات - عمدًا أو جهلاً - للغرض نفسه الذي من أجله وضع الحديث كذبًا وافتراءً والعياذ بالله (٨) .

٤)- بعض الزهاد والمتصوفة : فقد استباح هؤلآء لأنفسهم وضع الأحاديث والقصص في الترغيب ، والترهيب ، ونحوهما ، فقد دفعتهم الرغبة في ردع الناس عن المعاصي - على حد زعمهم - وتوجيههم وجهة الخير والصلاح إلى وضع كثير من أحاديث الترغيب والفضائل وما هو على شاكلة ذلك ، وكانوا بذلك يفسدون شر إفساد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ، وقبلت موضوعاتهم ثقة بهم ، وإنما كان هذا الصنف من الوضاعين أسوأ الأصناف ، لأن الناس يؤخذون بمظاهر صلاحهم وزهدهم ولا ينتبهون إلى جهلهم وغبائهم .

ومن أمثلة ما وضع حسبة وتوهمًا للخير : ما رواه الحاكم بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ، وليس عند

أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن اسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة .

ومما يؤسف له أن بعض المفسرين كالثعلبي والواحدي والزمخشري والبيضاوي - على جلال قدرهم - تساهلوا في ذلك وذكروه في تفاسيرهم ، وقرر العلماء أنه خطأ ما كان ينبغي لهم أن يقعوا فيه ، قال الحافظ العراقي : « لكن من أبرز إسناده منهم كالثعلبي والواحدي فهو أبسط لعذره إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده وإن كان لا يجوز له السكوت عليه من غير بيانه » (٩) .

٥)- اختلاط الصحيح بغير الصحيح ، ونقل كثير من الأقوال المعزوة إلى الصحابة أو التابعين من غير إسناد ولا تحر ، مما أدى إلى التباس الحق بالباطل ، زد على ذلك أن من يرى رأيا صار يعتمده دون أن يذكر له سندًا ، ثم يجيئ من بعده فينقله على اعتبار أن له أصلاً ، ولا يكلف نفسه البحث عن أصل الرواية ، ولا من يرجع إليه هذا القول .

٦)- أن تلك الروايات مليئة بالإسرائيليات ، ومنها كثير من الخرافات التي يقوم الدليل على بطلانها ، ومنها ما يتعلق بأمور العقائد التي لا يجوز الأخذ فيها بالظن ولا برواية الأحاد ، بل لابد من دليل قاطع فيها كالروايات التي تتحدث عن أشراط الساعة ، وأهوال القيامة ، وأحوال الآخرة ، تذكر على أنها اعتقاديات في الإسلام .

٧)- أن ما نقل نقلاً صحيحًا عن الكتب السابقة التي عند أهل الكتاب كالتوراة والإنجيل ، أمرنا الرسول -ﷺ- أن نتوقف فيه ، فلا نصدقهم

لاحتمال أنه مما حرفوه في تلك الكتب ، ولا نكذبهم لاحتمال أنه مما حفظوه منها ، فقد قال تعالى فيهم : ﴿ أوتوا نصيبًا من الكتاب ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ٢٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - (١٠) : « والاختلاف في التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ، ومنه ما يعلم بغير ذلك ، والمنقول إما عن المعصوم أو غيره ، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ، ومنه ما لا يمكن ذلك » وهذا القسم « أي الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه » عامته مالا فائدة فيه ولا حاجة بنا إلى معرفته وذلك كاختلافهم في لون كلب أهل الكهف واسمه ، وفي البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ، وفي قدر سفينة نوح وخشبها ، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ، ونحو ذلك ، فهذه الأمور طريقة العلم بها النقل ، فما كان منها منقولاً نقلاً صحيحًا عن النبي -ﷺ- قبل ، وما لا ، بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب و وهب وقف عن تصديقه وتكذيبه ، لقوله -ﷺ- : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » (١١) .

نُقل نقلاً صحيحًا فالنفس إليه أسكن مما ينقل عن التابعين ، لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي -ﷺ- ، أو من بعض من سمعه منه أقوى ، ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم ؟

وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثيرًا ، ولله الحمد ، وإن قال الإمام أحمد : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي » لأن الغالب عليها المراسيل (١٢) .

شبهة و ردها : قال صاحب « فجر الإسلام » (١٣) : وحسبك

دليلاً على مقدار الوضع أن أحاديث التفسير التي ذكر عن أحمد بن حنبل أنه قال : لم يصح عنده منها شئ ، قد جمع فيها آلاف الأحاديث ، وأن البخاري وكتابه يشتمل على سبعة آلاف حديث منها نحو ثلاثة آلاف مكررة ، قالوا : إنه اختارها وصحت عنده من ستمائة ألف حديث كانت متداولة في عصره ، يقـــول الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله تعالى - (١٤) :

كثرة الوضع في الحديث مما لا ينكره أحد ، و لكنه أراد أن يستدل على مقدار الوضع فاستشهد بشيئين : أحاديث التفسير ، وأحاديث البخاري .

وظاهر عبارته في أحاديث التفسير أنه يشكك فيها كلها إذ ينقل عن الإمام أحمد أنه قال لم يصح منها شئ (١٥) ومع أنهم قد جمعوا فيها مئات الأحاديث والإمام أحمد لا تخفي مكانته في السنة ، فإذا قال في أحاديث التفسير : لم يصح منها شئ كان كل ما روى فيها مشكوكًا بصحته إن لم يحكم عليه بالوضع ، أ ليست هذه نتيجة منطقية لكلام الأستاذ ؟

والكلام معه في مقامين :

الأول : في أحاديث التفسير .

والثاني : فيما نقله عن الإمام أحمد .

أما أحاديث التفسير فقد أثبتت كتب السنة شيئًا كثيرًا منها بطرق صحيحة لا غبار عليها مما هو معلوم لكل من طالع ما ورد في كتب السنة وما من كتاب في السنة إلا وقد أفرد فيه مؤلفه بابًا خاصًا لما ورد في التفسير عن الرسول -ﷺ- ، أو الصحابة أو التابعين (١٦) وقد اشترط

علماء التفسير على من يفسر كتاب الله -عزوجل- أن يعتمد فيه على ما نقل عنه -ﷺ- في ذلك .

قال الإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره (١٧) : « إن مما أنزل الله من القرآن على نبيه ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول -ﷺ- ، و ذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره ونهيه ، وندبه وإرشاده ، إلى آخره » .

وفي الإتقان - للسيوطي (١٨) ، قال ابن تيمية : يجب أن يعلم أن النبي -ﷺ- بين لأصحابه معاني القرآن الكريم ، كما بين لهم ألفاظه ، فقوله تعالى : ﴿ لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ [سورة النحل ، الآية : ٤٤] يتناول هذا .

وقال أبو حيان صاحب البحر المحيط (١٩) في صدد ما يحتاج إليه المفسر :

« الوجه الرابع » تعيين مبهم وتبيين مجمل ، وسبب نزول ، ونسخ ، ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول الله -ﷺ- ، وذلك من علم الحديث وقد تضمنت الكتب والأمهات التي سمعناها و رويناها ذلك كالصحيحين ، والجامع للترمذي ، وسنن أبي داؤد .. وأخذ يعدد كتب السنة .

هذا وقد قسم الزركشي القرآن إلى قسمين : قسم ورد تفسيره بالنقل ، وهو ما أنت ترى أنهم جعلوا التفسير بين منقول وغير منقول ، وأوجبوا على المفسر أن يرجع إلى الأول ويعرفه ، ولو لم يصح فيه شئ بل لو لم يصح منه شئ كثير لما فعلوا ذلك ، وهنالك من العلماء من ذهب

إلى أنه لا يجوز التفسير إلا بما ورد عن النبي -ﷺ- .

قال السيوطي - رحمه الله تعالى - (٢٠) : « اختلف الناس في تفسير القرآن هل يجوز لأحد الخوض فيه ؟ فقال قوم : لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شئ من القرآن وإن كان عالماً أديبًا متسعًا في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار ، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روى عن النبي -ﷺ- في ذلك .. إلخ » .

وأما ما نقله عن الإمام أحمد في أحاديث التفسير فهو يشير إلى ما روى عنه من قوله : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي » . وفي رواية : « ثلاثة كتب لا أصل لها : المغازي والملاحم والتفسير » (٢١) والكلام عن هذه العبارة من وجوه :

أولاً : لم تثبت هذه الكلمة عن الإمام أحمد بطريق صحيح تطمئن إليه النفس ، ومما يدل على ذلك أن الإمام أحمد نفسه قد ذكر في مسنده كثيرًا من أحاديث التفسير ، فكيف يعقل أن يخرج هذه الأحاديث ويثبتها في مسنده عن شيوخه ، ثم يحكم بأن لم يصح في التفسير شئ ؟ (٢٢) وأيضًا فمقتضى هذه العبارة أن يكون كل ما روى عن أخبار العرب ومغازي المسلمين مكذوبًا من أصله ، ومن يقول بهذا ؟ (٢٢) .

ثانيًا : إن نفي الصحة لا يستلزم الوضع أو الضعف ، وقد عرف عن الإمام أحمد خاصة نفي الصحة عن أحاديث وهي مقبولة ، وقالوا في تأويل ذلك : إن هذا اصطلاح خاص به ، قال اللكنوي في الرفع والتكميل : كثيرًا ما يقولون « لا يصح » و « لا يثبت » هذا الحديث ، ويظن منه من لا علم له أنه موضوع ، أو ضعيف وهو مبنى على جهله بمصطلحاتهم وعدم وقوفه

على مصرحاتهم ، فقد قال علي القاري في « تذكرة الموضوعات » : لا يلزم من عدم الثبوت وجود الوضع (٢٤) .

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الأذكار المسمى بـ « نتائج الأفكار » : ثبت عن أحمد بن حنبل أنه قال : لا أعلم في التسمية « أي التسمية بالوضوء » حديثًا ثابتًا ، قلت (أي ابن حجر) : لا يلزم من نفي العلم ثبوت العدم ، وعلى التنزل : لا يلزم من نفي الثبوت ثبوت الضعف ، لاحتمال أن يراد بالثبوت الصحة ، فلا ينفي الحسن اهـ .

ثالثًا : لم يقل الإمام أحمد : إنه لم يصح في التفسير شئ ، وإنما قال ثلاثة ليس لها أصل ، والظاهر أن مراده نفي كتب خاصة بهذه العلوم الثلاثة ، بدليل ما جاء في الرواية الثانية مصرحًا به « ثلاثة كتب » .

وهذا المعنى هو ما فهمه الخطيب البغدادي ، حيث قال : إن هذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة ، فأشهرها كتابان :

للكلبي (٢٥) ومقاتل بن سليمان (٢٦) وقد قال الإمام أحمد في تفسير الكلبي : من أوله إلى آخره كذب لا يحل النظر فيه .

رابعًا : يحتمل أن يكون مراد الإمام أحمد في عبارته المذكورة أن ما صح من التفسير قليل بالنسبة لما لم يصح ، وعلى هذا المعنى حملها كثير من أهل العلم .

ففي « الإتقان » قال ابن تيمية : وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير ولله الحمد ، وإن قال الإمام أحمد : ثلاثة ليس لها أصل إلخ ، وذلك لأن الغالب عليها المراسيل .

وخلاصة القول :

إن الاستشهاد بعبارة الإمام للتشكيك في أحاديث التفسير كلها غير صحيح ، يبطله ثبوت أحاديث التفسير في أمهات الكتب الصحيحة كالبخاري ومسلم والمؤطأ والترمذي ، بل في مسند الإمام أحمد نفسه .

ونشير هنا إلى أصح كتاب في السنة وهو صحيح البخاري فنجد أن هذا الكتاب أورد فيه مؤلفه كتابًا كبيرًا وهو : « كتاب التفسير » استغرق نحو جزء من ثلاثة عشر جزءًا من تجزئة الإمام الحافظ ابن حجر في شرحه : « فتح الباري » (٢٧) فقد قال ابن حجر : بعد ما فرغ من شرحه : « كتاب التفسير » قال : خاتمة : اشتمل كتاب التفسير على خمسمائة حديث ، وثمانية وأربعين حديثًا من الأحاديث المرفوعة ، وما في حكمها ، الموصول من ذلك أربعمائة حديث ، وخمسة وستون حديثًا ، والبقية معلق (٢٨) ، وما في معناه ، المكرر من ذلك فيه أربعمائة وثمانية وأربعون حديثًا ، والخالص منها - يعني من غير تكرار - مائة حديث ، و وافقه مسلم على تخريج بعضها ، ولم يخرج أكثرها لكونها ليست ظاهرة الرفع ، والكثير منها من تفسير ابن عباس - رضي الله عنهما - وهي ستة وستون حديثًا ، وفيه من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم خمسمائة وثمانون أثرًا » (٢٩) .

وخلاصة القول : إن التفسير بالمأثور نوعان : « أحدهما » ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله ، وهذا لا يليق بأحد رده ولا يجوز إهماله وإغفاله ، ولا يجمل أن نعتبره من الصوارف عن هذا القرآن ، بل هو على العكس عامل من أقوى العوامل على الاهتداء بالقرآن الكريم .

« ثانيهما » ما لم يصح لسبب من الأسباب الآنفة أو غيرها ، وهذا يجب رده ، ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به ، اللهم إلا لتمحيصه والتنبيه إلى

ضلاله وخطئه حتى لا يغتر به أحد ، كما فعل ذلك المحققون من أيقاظ المفسرين كالإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - الذي كان يتحري الصحة فيما ينقل ويزيف ما هو باطل أو ضعيف (٣٠) .

---

(١) راجع : علوم القرآن ، د/عدنان محمد زرزور : ص/٤٠٤ .

(٢) انظر : التقريب مع التدريب : ص/١٨٦ ، والباعث الحثيث : ص/٩١-٩٤ .

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة : ص/٣٥٥ .

(٤) حديث عرق الخيل هو ما روى كذبًا « أن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل وأجراها ، فعرقت فخلق نفسه منها » قال ابن عساكر : هذا موضوع وضعه الزنادقة ، أما حديث عيادة الملائكة فهو ما روى كذبًا : « إن الله اشتكت عيناه فعادته الملائكة » وأما حديث زغب الصدر ، فهو ما روى زورًا : « خلق الله -عزوجل- الملائكة : من شعر ذراعيه وصدره أو نورهما ، راجع التدريب : ص/١٨٦ .

(٥) انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي : ص/٣٥٦ .

(٦) انظر : التبصير في الدين : ص/٨١ .

(٧) راجع : طائفة من تفسير الرافضة في : مقدمة في أصول التفسير : ص/٣٨-٤٠ .

(٨) راجع : لمحات في أصول الحديث : ص/٣٠٨ .

(٩) انظر : الألفية للزين العراقي مع التبصرة والتذكرة : ج/١ ، ص/٧٢ .

(١٠) راجع : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية : ص/٢٦ فما بعدها ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني : ص/٤٩٢ .

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، انظر : فتح الباري : ج/٨ ، ص/١٢٠ .

(١٢) راجع : الإتقان : ج/٢ ، ص/١٧٨ الطبعة السلفية .

(١٣) انظر : فجر الإسلام : ص/٥٢٩ ، لأحمد أمين .

(١٤) راجع : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : ص/٢٤٢ .

(١٥) وقد سبق له أن نقل هذا القول عن أحمد في بحثه السابق عن القرآن في كتابه فجر الإسلام .

(١٦) راجع : على سبيل المثال : صحيح البخاري ، في كتاب التفسير (فتح الباري : ج/٨) .

(١٧) انظر : تفسير الطبري : ج/١ ، ص/٢٥ ، من الطبعة الأميرية .

(١٨) راجع : الإتقان : ج/٢ ، ص/١٧٦ ، طبع مصطفى البابي - الطبعة الثانية .

(١٩) انظر : البحر المحيط ، لابن حيان : ج/١ ، ص/١٦ ، والقرطبي : ج/١ ، ص/٢١ .

(٢٠) راجع : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : ص/٢٤٢ .

(٢١) انظر : الإتقان : ج/٢ ، ص/١٨٠ .

(٢٢) المرجع السابق : ج/٢ ، ص/١٧٨ .

(٢٣) راجع : السنة ومكانتها في التشريع : ص/٢٤٤ بتصرف .

(٢٤) راجع : الرفع والتكميل : ص/٨٦ من طبعة حلب .

(٢٥) هو : محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي ، نسابة ، راوية ، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب وهو ضعيف بالحديث ، انظر : تهذيب التهذيب : ٩/١٧٨ ، و وفيات الأعيان : ١/٤٩٢ .

(٢٦) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء ، البلخي ، أبو الحسن : من أعلام المفسرين كان متروك الحديث ، من كتبه « التفسير الكبير » خ ، ونوادر التفسير ، ومتشابه القرآن ، انظر : وفيات : ٢/١١٢ ، وتهذيب : ١/٢٧٩ ، وميزان الاعتدال : ٢/١٩٦ ، والإعلام : ٨/٢٠٦ .

(٢٧) ٢/١٧٨ الطبعة السابقة .

(٢٨) المعلق في اصطلاح المحدثين : ما حذف من مبتدأ إسناده راو أو أكثر ، والمراد بأول السند من جهة الإمام الراوي وذلك مثل قول البخاري : وقال مجاهد كذا ، وقال ابن عباس كذا ، انظر : التقييد والإيضاح : ص/٢٢ ، شرح مقدمة ابن صلاح .

(٢٩) راجع : فتح الباري : ج/٨ ، ص/٦٠٤-٦٠٥ .

(٣٠) راجع : مناهل العرفان ، للزرقاني : ج/٢ ، ص/٤٩٢ ، بتصرف .

الحديث الشريف وأثره على اللغة العربية

[الحلقة الثانية الأخيرة]

أبو الخير محمد ولي الله

الأستاذ المساعد في قسم الحديث والدراسات الإسلامية . الجامعة الإسلامية - كوشتيا

وإذا نظرنا إلى منثورات العرب قبل بعثة النبي -ﷺ- ما وجدناها إلا قليلة جدًا بحيث لا تسد الحاجات ، وهي مكوّنة بسجع الكهان ومزينة بالألفاظ المسجعة المحدودة دون المعاني الواسعة ، ومن منثوراتهم الأمثال والحكم والوصايا والأوصاف والأقاصيص ، ويشهد التاريخ بأنهم لم يشتهروا في العالم الأدبي بمنثوراتهم كما اشتهروا بالأشعار لتضمنها بلاغة وطلاوة ورونقا وفصاحةً - ولكن بعد نزول القرآن الكريم وتدوين أحاديث الرسول صارت منثوراتهم مملوءة بطلاوة ورونق كبير ، وسلك الأدباء والشعراء على منهج عال وأسلوب بارع متأثر بكلام الله تعالى ورسوله . وهنالك ترك السجع الكهان والألفاظ الوحشية واستعملوا الألفاظ المتينة البليغة ، وحلت المنثورات المرسلة محل المسجعة ، وزخر بها الأدب العربي ، ففي الحديث ذخيرة وافرة من عناصر اللغة العربية وآدابها ، ويحتوي آداب الحديث بالأمثال والحكم والخطابة والوصايا والأقاصيص ، ومن مزاياه العامة (٤٦) :

١- البساطة والبعد عن تكلف السجع والبديع - كما قال ابن عباس - رضي الله عنه - : إياك والسجع في الدعاء فإني شهدت النبي وأصحابه لا يفعلون ذلك .

٢- الإيجاز أو حبك الكلام حبكا يقل فيه الحشو والزوائد .

٣- التلميح وهو الإشارة إلى المفرد دون البسط في إيضاحه .

وكان النبي -ﷺ- استلزم الأمثال الجامعة والحكم المفيدة كثيرًا ، لا يحصى عددها لكثرتها ، ويشير الميداني إلى أن كثيرين من العلماء تداولوا أمثال القرآن بالبحث واشتغلوا بالكتابة فيها وقال : أما الكلام النبوي من هذا الفن فقد صنف العسكري (٢٩٥هـ) فيه كتابًا باسم : « جمهرة الأمثال » ولم يصل إلينا هذا الكتاب ، ولكن نجد منه نقولاً في كتب علماء الحديث من أمثال ابن حجر والسخاوي والسيوطي وتابع العسكري أبو عروبة الحسين بن محمد الحراني (٣١٨هـ) الذي ألف « الأمثال السائرة عن رسول الله » وتلاه أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (٣٦٠هـ) ، وكتابه : « أمثال الحديث المروية عن رسول الله » وألف أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف بأبي الشيخ الأصفهاني (٣٦٩هـ) « كتاب الأمثال في الحديث النبوي » (٤٧) ، وكتاب الأمثال ، للإمام الحافظ أبي القاسم بن سلام (٢٢٤هـ-٣٢٨م) وهذا كتاب فاق ما جاء بعده ، ويقول القطفي لقيمة هذا الكتاب : « رأيت من الإتقان والتحقيق ما لا شاهدته لغيره » (٤٨) .

فالأمثال النبوية لها أثر عظيم في الأدب العربي لأنها محتوية على أقوال جامعة مشتملة على الألفاظ الفصيحة البليغة والمعاني الواضحة ، وكان لها تأثير في كتابة المنثورات وصوغ الأناشيد ، ومن الأمثال النبوية :

« الحرب خدعة » ، « إن من البيان سحرًا » ، و « إن من الشعر حكمة » .

« لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين » ، « زر غبا تزدد حبًا » ، « الخير كثير ومن يعمل به قليل » ، « البلاء مؤكل بالمنطق » ، « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد » ، « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه » ، « القناعة مال لا ينفد » ، « الحياء خير كله » ، « إذا لم تستحى فاصنع ما شئت » ، « ما عال من اقتصد » ، « أي داء أدوى من البخل » ، « ومن لا يشكر في القليل لا يشكر في الكثير » ، « إن لكل نعمة حسدة » ، « تعس عبد الدرهم » ، « المؤمن غِرٌّ كريم والكافر خِبٌّ لئيم » ، « من صمت نجا » ، « الآن حمى الوطيس » ، « إياك والطمع فإنه فقر حافر » ، « الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق » ، « تهادوا تحابّوا » ، « من كثر كلامه كثر سقطه » ، « أحب للناس ما تحب لنفسك » (٤٩) .

و رسائل النبي -ﷺ- هي كانت نموذجًا للنثر العربي المرسل وهي ثروة كبيرة أثرت على اللغة العربية بوجوه شتى ، أرسل النبي -ﷺ- رسائل الدعوة إلى الملوك والأمراء والقبائل كما أرسل رسائل إدارية رسمية ، فأرسل إلى هرقل ملك الروم وإلى كسرى ملك الفرس وإلى مقوقس عظيم القبط وإلى حارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق وإلى المنذر بن ساوى ملك البحرين وإلى هوذة بن علي صاحب اليمامة وإلى رفاعة بن زيد الخزاعي وإلى أهل البحرين وأهل هجر ونصارى نجران وغير ذلك من القبائل والرؤساء والأشخاص (٥٠) .

فألفاظ هذه الرسالة وكلماتها وتراكيبها جامعة مختصرة ومعانيها واضحة ، ولها أهمية كبيرة في اللغة العربية وآدابها وأنه استلزم فيها ألفاظا موافقة للمخاطبين ، فتختلف عباراتها باختلاف المخاطبين من

العرب والعجم حسب الاقتضاء والاعتقاد والأحوال ، فكانت رسائله نموذجًا واضحًا وقعت في قلوب الكتّاب والأدباء ، لذلك فإنهم سلكوا على هذا المنهج و قلدوه ، و اختاروا لكتاباتهم الألفاظ الفصيحة و الأسلوب البليـــغ .

إضافة على هذا فان خطابة الرسول -ﷺ- لها أهمية كبيرة في اللغة العربية وآدابها ، وأنه خطب طوال حياته في مكة المكرمة قبل الهجرة ، وفي المدينة المنورة بعد الهجرة واتسعت جنباتها بما أخذ يشرع للمسلمين ويرسم لهم من حدود دولتهم ونظم حياتهم التي ينبغي أن تقوم على الإخاء والمساواة والتعاون في سبيل الحق والخير ، وإذا لاحظنا خطب الجاهلية وجدنا فيها غلبة السجع للكهان والتفاخر بالآباء والأنساب والأحساب ، والإسلام نهي عن ذلك ، والرسول -ﷺ- لا يسجع في خطابه ، وكان ينفر منه حين يلهج به أحد محدثيه كراهية للتشبيه بالكهان في سجعهم ، ونقول إن صنعة الخطابة نهضت مع خطبة النبي -ﷺ- ونهض معها النثر العربي المرسل نهضة واسعة ، وبها وسعت جنبات النثر الفني وزادت في معانيه ومادته بأداء البيان الكامل وأسباب البلاغة الوافرة ، و هذه الخطب تصور بدقة حسن منطق الرسول في خطابته وأنه لم يكن يستعين فيها بسجع ولا بلفظ غريب وحشي (٥١) .

وقال - عليه الصلاة والسلام - في بعض خطبه : « إن أشرف الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وأحسن السنن سنة محمد -ﷺ- وأحسن الحديث ذكر الله وأحسن القصص هذا القرآن وخير الأمور عوازمها وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدي هدي

الأنبيـــاء ، و أشرف القتل قتل الشهداء ، و أعظم الضلالة بعد الهدى ، و خير العلم ما نفع (٥٢) .

٧)- إن العلماء أجازوا رواية الحديث بالمعنى لاستحالة المحافظة على اللفظ في نقله وقامت الخصومة السياسية ونشأت الفرق الدينية ، فاستجاز أولو الأهواء الكذب على الرسول -ﷺ- ، فوضعوا ألوف الأحاديث تأييدًا لدعوتهم وترجيحًا لنزعتهم ، وكل هذا لا يخلو عن قيمته اللغوية ، وإضافة على هذا فإنهم أدخلوا في أحاديث الترغيب والترهيب ومن طريق الوضع في كتب الحديث طائفة كبيرة من الحكم المأثورة عن العرب والآراء المنقولة عن العجم فأثرت كلها في الخطابة والكتابة والجدل والشعر تأثيرًا غير قليل .

٨)- وقد جاء في الحديث أحرف غريبة من لغات القبائل إذ كان الرسول -ﷺ- يخاطب بعض وفودهم بلغاتهم كما في الحديث « ليس من امبر امصيام في امسفر » ولأجل هذا ألف العلماء في غريبه كتبا من أهمه « كتاب غريب الحديث ، للقاسم بن سلام » (٥٢) .

٩)- وفي الحديث رواء الطبع وجلال النبوة ورونق الفصاحة ، وقال - عليه الصلاة والسلام - : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر » (٥٤) ، وقد نشأ النبي -ﷺ- في أفصح القبائل وأخلصها منطقًا وأعذبها بيانًا ، فكان مولده في بني هاشم وأخواله في بني زهرة ورضاعتهفي بني سعد بن بكر ، ومنشؤه في قريش ومتزوجه في بني أسد ومهاجرته إلى بني عمرو وهم الأوس والخزرج من الأنصار لم يخرج هؤلآء في النشأة واللغة (٥٥) .

١٠)- وكان النبي -ﷺ- أشد خلق الله طبيعة وأقواهم نفسًا وأصوبهم رأيا وأبلغهم معنًى وأكبرهم خلقًا ، فالله -عزوجل- أدبه فأحسن تأديبه كما قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - « لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟ » فقال - عليه الصلاة والسلام - : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » (٥٦) ، وهكذا قال لعلي - رضي الله عنه - وقال : « أنا أفصح العرب » .

١١)- وقال الأديب الجاحظ : « وكان كلامه -ﷺ- هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف استعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر وهجر الغريب الوحشي ، فإنه لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا ولا أصدق لفظًا ولا أعدل وزنًا ولا أجمل مذهبًا ولا أكرم مطلبًا ولا أحسن موقعًا ولا أسهل مخرجًا ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه من كلامه -ﷺ- (٥٧).

وقال رسول الله -ﷺ- : « نضر الله وجه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته » فالكلام النبوي جامع مجتمع يأتي مقدرًا في مادته ومعانيه وأسلوب الجمع بينهما .

١٢)- وأسلوب الحديث أقرب إلى أسلوب القرآن الكريم ، لأن عصره أقرب إلى عصر القرآن : « وإنما يمتاز باشراق ديباجته واتساق عبارته وتساوق ألفاظه وفقره لأداء معنى واضح معين ومطابقة مدلوله لمقتضى الحال » (٥٨) ، والرسول -ﷺ- حينما يخاطب الوفود يستعمل الغريب ويلتزم السجع ، ويذكر ألفاظًا مهجورة في اللغة تبعًا لما جرى على لسان الوافدين عليه كما خطب مع طهفة بن أبي زهير الهذلي ولقيط بن عامر

وهذا من حسن أدبه وسمو بلاغته وقوة تأثيره (٥٩) . ولكنه في غير ذلك لم يستلزم الألفاظ الغريبة ولا السجع .

١٢)- وله قدرة عجيبة على التشبيه والتمثيل وإرسال الحكمة وإجادة الحوار ، كقوله - عليه الصلاة والسلام - : « إن المنبت لا أرضًا قطع ولا أظهر أبقى » المؤمن هين لين كالجمل الأنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخـــرة استناخ » ، « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ، « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا » ، « مثل المؤمن كالنخل لا يأكل إلا طيبًا ولا يطعم إلا طيبًا » ، « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » ، « المرأة الحسناء في المنبت السوء » ، « المرأة كالضلع إن رمت قوامها كسرتها » .

١٤)- وكان - عليه الصلاة والسلام - على حد الكفاية في قدرته على الوضع استعمل ألفاظًا كثيرة لم تسمع العرب قبله ولم توجد في متقدم كلامها وهي تعد من حسن البيان لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها وقوة الدلالة وغرابة القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها ، وكلها قد صار ميراثًا خالدًا في البيان العربي كقوله : « مات حتف أنفه » ، « الآن حمى الوطيس » ، « بعثت في نفس الساعة » ، « كل أرض بسماتها » ، « يا خيل الله اركبي » ، « ولا تنطح فيها عنزان » ، « هذا يوم له ما بعده » ، وهذا ضرب عزيز من الكلام يحتذيه البلغاء ويطبعون على قالبه (٦٠) .

١٥)- يوجد كثير من الألفاظ والمصطلحات الشرعية مما لم يرد في القرآن الكريم ، ومنه ألفاظ كان العرب أنفسهم يسألون عنه ، ولو كانوا

مـاهرين باللغة العربية كما في الحديث ، إنه -ﷺ- قال لأبي تميمة الهجمي : « إياك والمخيلة » فقال : يا رسول الله نحن قوم عرب ، فما المخيلة ؟ فقال - عليه الصلاة والسلام - : « سبل الإزار » (٦١) .

١٦)- وإنما يحمل هذا على قوة فطرته اللغوية التي تتميز بالإلهام عن سائر العرب من قومه وغير قومه على النحو الذي اختصت به ذاته الشريفة بالوحي من ربه ، وكانت فطرته اللغوية في تمكنها وشدتها واستحصافها وانطوائها على أسرار الوضع ، لها أثر وافر وضعًا واشتقاقًا واستجادةً وبلاغةً .

١٧)- وإذا لاحظنا كلامه - عليه الصلاة والسلام - بملاحظة خاصة وجدناه مسدد اللفظ محكم الوضع جزل التركيب ، متناسب الألفاظ والأجزاء في تأليف الكلمات ، فتتم الجملة بوضوح الصلة بين اللفظ ومعناه ، ولم نجد حرفًا مضطربًا ولا لفظًا مستكرهًا على المعنى ، ونجد حسن العرض بيّن المعنى واضح التفصيل ظاهر الحدود بديع الإشارة غريب اللمحة ناصع البيان ، كما نرى في كلامه من سمو المعنى وفصل الخطاب وحكمة القول ودنوا المأخذ وإصابة السر شيئًا كثيرًا ، وهذا كله يكون لكماله - عليه الصلاة والسلام - وقدرته في الإفصاح وبلاغته في التعبير ، وكان له من عظمة النفس وكمال العقل وثقوب الذهن ، وتمكّن اللسان ما فاق به على جميع الفقهاء والعقلاء والفصحاء والبلغاء والأدباء والشعراء (٦٢) .

١٨)- ومن الكلم الجامعة التي هي جوامع الحكمة والبلاغة ، وذات رصانة أدبية ونكت فنية كثيرة كقوله - عليه الصلاة والسلام - : « إنما

الأعمال بالنيات » ، « الدين النصيحة » ، « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات » ، « لا تجن يمينك على شمالك » ، « خير المال عين ساهرة لعين نائمة » ، « آفة العلم النسيان وإضاعته أن تحدث به غير أهله » ، « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ، « الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس » (٦٢) .

وفي الختام نقول : إن الحديث الشريف هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي وهو يشمل جميع آفاق الحياة الإنسانية ، وقول الرسول -ﷺ- وفعله وتقريره محبوب لدى جميع المسلمين ومهم جدًا ، فعنوا عناية فائقة بحفظه وصيانته وتدوينه وتحقيقه ، وانتشر الصحابة والتابعون إلى الآفاق وأخذوا يبلغون سنة رسولهم ويحصونها وينقلونها من رجل إلى رجل ، واتسعت الفتوحات الإسلامية وتفرقت الأشياع والفرق والمذاهب فكان المحدثون يدونون كتب الأحاديث ويشرحونها وكتب علوم الحديث ومصطلحه حتى صارت التصانيف والمؤلفات ثروة عظيمة وخزانة أثيرة في اللغة العربية ، وكان أسلوب الحديث أقرب إلى أسلوب القرآن الكريم ، وكان الرسول -ﷺ- هو أفصح العرب وأبلغهم بيانًا ، ففيه جلاوة النبوة ورونقها ، وأسلوب النبي -ﷺ- فاش في كلام الصحابة والتابعين وعلى لسان الشعراء والأدباء ، فأخذ الشعراء والأدباء يقلدونه وجعلوا يعتمدون عليه في الكتابة والخطابة وفي الأقوال والأمثال وفي الوصايا والأقاصيص وفي الأشعار والمنثورات حتى تمت النهضة الأدبية والبيانية .....في اللغة العربية وآدابها .

---

(٤٦) أنيس المقدسي : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي - دار العلم للملايين بيروت : ص/٨٥ .

(٤٧) أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ

الأصفهاني - كتاب الأمثال في الحديث النبوي ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد - الدار السلفية ، الهند : ص/١٢ .

(٤٨) أبو عبد القاسم بن سلام : كتاب الأمثال ، حققه وعلق عليه الدكتور عبد المجيد قطامش دار المأمون للتراث ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) : ص/١٧ ، وأنباء الرواة : ٢/١٢٤ .

(٤٩) انظر للتفصيل : كتاب الأمثال في الحديث النبوي ، لأبي محمد عبد الله الأصفهاني ، وكتاب الأمثال ، لأبي القاسم بن سلام ، المملكة العربية السعودية ١٤٠٠هـ .

(٥٠) انظر للتفصيل : الدكتور محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، بيروت ١٩٧٩م ، والطبري : تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة ١٩٣٩م ، وابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة - مصر ١٨٦٨م ، والقلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء مصر ١٩١٩م .

(٥١) تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي : ص/١٢٠ .

(٥٢) كتاب الأمثال في الحديث النبوي : ص/٢٩٥ .

(٥٣) أبدل فيه آل بأم كما يضع بعض العرب من حمير ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي : ص/٤١ .

(٥٤) تاريخ الأدب العربي : ص/٩٥ .

(٥٥) مصطفى صادق الرافعي - تاريخ آداب العرب - الجزء الثاني ، دار الكتاب العربي - بيروت لبنان : ص/٢٨٥ .

(٥٦) مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، الجزء الثاني ، دار الكتاب العربي - بيروت لبنان : ص/٢٠١ .

(٥٧) نفس المرجع : ص/٢٨٢ .

(٥٨) تاريخ الأدب العربي : : ص/٩٧ .

(٥٩) نفس المرجع : ص/٩٧ ، وانظر العقد الفريد : ج/١ ، ص/١٨١ .

(٦٠) تاريخ آداب العرب : ص/٢١٦ .

(٦١) نفس المرجع : ص/٢١٧ .

(٦٢) نفس المرجع : ص/٢٢٥ .

(٦٢) نفس المرجع : ص/٢٤٠ .

مبحث في فقه اللغة العربية :

الأستاذ محمد المبارك

و دوره في خدمة فقه اللغة العربية

بقلم : عبد الماجد الكشميري

الباحث بقسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية - بعليجراه

رضع الأستاذ محمد المبارك بلبان اللغة العربية وترعرع في أحضانها ، ونهل من معينها الصافي في رعاية والده الشيخ عبد القادر المبارك ، الراوية واللغوي البارع الذي حمل ولعه وشغفه الزائد بهذه اللغة على إنشاء بيئة لغوية فريدة في بيته ، تنمى الذوق الأدبي وتربيه ، يقول الأستاذ المبارك : « وقد طفقت منذ كنت ناشئًا أعب من معين روايته - والده الشيخ عبد القادر المبارك - الواسعة وأنهل من ينبوع لغته العذبة في جلسات خاصة ، أو مع زملائي في تجهيز دمشق أي مدرستها الثانوية ، أو في مدرسة الأدب العليا التي كانت النواة الأولى لكلية الآداب » (١) .

وقد كانت من آثار هذه الصلة والحب للعربية من جهة ، والحرص الشديد على التوعية والتوجيه الرشيد من جهة أخرى أنه عند ما كان يراسل والده من باريس ، كانت المراسلات تدور حول القضايا العلمية ، ولا سيما اللغوية منها ، ومن ثم اكتمل شعوره بخطورة فقه اللغة ونضج ذوقه وانبعثت فيه الدواعي لخدمة هذا العلم ، واستغل الفرصة المتاحة للقيام بمهمة تدريس فقه اللغة في كلية الآداب بدمشق سنة ١٩٤٩م .

وضع اللغة وفقهها ، والتحديات :

ولكي نتمكن من إرساء الجوانب النظرية للقضية المطروحة ورسم

حدودها الأربعة ، ولكي نستطيع تقدير مساهمة الأستاذ المبارك كلغوي متخصص في حلول مشاكلها وتحليل أجزائها ، لابد لنا أن نقف وقفة تأمل ونظر مع فقه اللغة ، يتيسر لنا من خلالها تقييم الأعمال ونقدها وفق الموازين والمقاييس العلمية المتزنة والسلوك فيها بطريق مستقيم لا يميل ذات اليمين وذات الشمال .

إن التأليف في فقه اللغة قد مر بأدوار جديرة بأن تسجل وتدرس ، ولكنه من العسير استيعاب جميع الكتب المتعلقة بفقه اللغة تعلقا غير مباشر ، كالمصنفات النحوية والصرفية والبلاغية والقراءات ، فلنضرب عن هذا النوع صفحًا ، رغم أنها تسجيلات دقيقة للاحظات ونتائج أبحاث لغوية في طورها الأول ، ولنقتصر النظر في التأليفات التي توفر فيها أصحابها على دراسة ما يرتبط ارتباطًا قويًا بفقه اللغة ، علما قائمًا بنفسه .

بدأ علم اللغة عند العرب بجمع وتدوين مفردات اللغة ، وكانت فيما بعد النواة الأولى في جمع المعاجم الكبيرة ، ومن أعلام هذه المرحلة الأصمعي وأبو عبيدة والنضر بن شميل وأبو زيد وقطرب ، وتتلو هذه المرحلة مرحلة النظر في القواعد يمثلها النحاة الذين ألفوا في الاشتقاق وما إلى ذلك ، منهم أبو الحسن الأخفش والمبرد والزجاج وابن السراج والرماني وغيرهم (٢) .

وتأتي بعد ذلك مرحلة اتساع الفكرة اللغوية على يدي ابن الجنى وابن الفارس ، حيث ناقشا لأول مرة أبحاثًا مهمة في علم اللغة ، وقد تجاوز ابن جنى شاؤا أوسع وأبعد ممن قبله ، واتضحت عنده فلسفة اللغة واستطاع

أن يتناول القضايا اللغوية على نطاق أوسع ، وامتازت أبحاثه بتعليل ظواهر اللغة ، جاء بعدهما عبد الملك بن محمد الثعالبي حيث تعرض في كتابه : « فقه اللغة » لما تشترك فيها اللغة العربية مع الفارسية من الكلمات ، مع أن كتابه احتوى على متن اللغة وفي تسميته بفقه اللغة كثير من التجوز .

وأخيرًا جاء السيوطي واستوعب أهم القضايا اللغوية بالدراسة والبحث وردها إلى نصابها في كتابه القيم : « المزهر في علوم اللغة وأنواعها » ضمنه جميع المباحث التي ناقشها القدماء ، وزاد عليها أبحاثًا جديدة أخرى .

الهيكل و المحتـــوى :

تنحصر القضايا اللغوية التي نالت اهتمام اللغويين القدامى في المـواضيع الآتية : نشأة اللغة ، المفردات اللغوية ، الدخيل والمعرب والمولد ، تطور الدلالة - أحيانًا ما - اختلاف اللغات ، ولم يشمل فقه اللغة التقليدي في أغلب الأحوال بحوث تطور الدلالة ، ودراسة المفردات ، أي دراسة المراحل التاريخية التي مرت بها الكلمة مذ نشأتها ، والتي آلت إليها أخيرًا - إن هناك مؤلفات تحوى بين دفتيها خليطا من بحوث بعضها ينتمي إلى فقه اللغة ، وبعض آخر شديد الارتباط بمتن اللغة ، نأخذ على سبيل المثال « فقه اللغة » للثعالبي ، و « المخصص » لابن سيدة ، وهكذا نرى ابن جنى تعرض لأمشاج من المسائل اللغوية التي تتعلق بفروع اللغة المختلفة .

وبذلك يحق لنا القول بأن الفكرة الأساسية عن الموضوع لم تكن

محددة عندهم ولم ترتسم معالمه وأبعاده لديهم ، وبالتالي اضطربت مناهجهم فيما يتناولونه بالدراسة من المسائل اللغوية كما تلخبط عرضهم وتحليلهم ، ونلاحظ كذلك أيضًا أنهم أطالو النفس في بيان خصائص اللغة العربية ، ولم يكن ذلك من خلال المقارنة باللغات الأخرى التي تربطها بالعربية أواصر القربى ، بل انعكست فيه العقلية المتأثرة بالمنطق الأرسطى اليوناني الذي اكتسح جميع مجالات العلوم والفنون في تلك الآونة ، فكان له أثر في الفقه والكلام مثلما كان له أبلغ الأثر في الدراسات اللغوية ، ومن هنا خرج فقه اللغة عن المنهج اللغوي الوصفي وتزايد اهتمامه بالمناسبة الطبيعة بين اللفظ ومدلوله ومباحث نشأة اللغة الإنسانية التي هي أشبه شئ بفلسفة ما وارء الطبيعة .

الدراسات اللغوية الحديثة :

ويرجع أكبر قسط من الفضل في تجديد البحث في فقه اللغة العربية إلى حصيلة اللغات الأوربية الحديثة في فقه اللغة العام والمقارن ودراساتها التجريبية لجميع الوحدات التي يضمها فقه اللغة وعلم الأصوات بصورة أخص ، هناك طائفة كبيرة من العلماء والكتاب الذين عالجوا القضايا اللغوية وأدلوا بآرائهم فيها ، مما أثرى المكتبة العربية بعلم غزير ومعلومات كثيرة عن المصادر الأجنبية ، وامتازت هذه الإسهامات بإعطاء فكرة جلية عن الوعي والفكر اللغوي على مدى أوسع وأثارت تساؤلات جادة في تماسك الكيان اللغوي و وحدة نظامه ، إلا أن الذي لوحظ على أوسع نطاق هو إساءة التطبيق ، حيث لم يوفق الجدد - غالبا ما - إلى التطبيق والجمع ولم يحسنوا الأخذ والترك فيما يخص

طبيعة اللغة العربية ، ولم يأخذوا بالاعتبار المكانة المتفردة التي تتمتع بها اللغة العربية ، فكان دور كثير منهم أشبه بدور الناقل والحاطب بالليل ، ومن أجل ذلك نرى غالبيتهم جانبت الصواب في كثير من الأحيان في تحديد معالم فقه اللغة ، وموقف العربية منها أخذا ورفضًا .

الدراسات المتخاذلة :

إن الدول المستعمرة في العصر الحديث استغلت نفرا من أبناء الضاد في الأقطار العربية المختلفة بوسائل شتى ليدعوا إلى تدوين اللهجات العربية بالحرف العربي آنًا ، وبالحروف اللاتينية آونة ، ولقد استجابت هذه الشرذمة إلى تلك الاستمالة الاستعمارية عن طيب قلب أو بدوافع أخرى ، فشنوها حربًا شعواء على اللغة العربية تحت ستار التمشي مع التقدم في ركب الحياة ، وبحجة أن اللغة كائن حي يجب أن يتطور ويتقدم .

إن هذه السياسة اللغوية الاستعمارية شغلت أقلامًا من النصارى اللبنانيين ، والذين استوطن كثير منهم في الولايات المتحدة ، ومن نحا نحوهم من المرتزقين ، فأرادوا تحطيم وحدة الأمة الإسلامية بتحطيم اللغة العربية وزعزعتها عن مكانها المسيطر ، فرددوا كثيرًا من قضايا تبسيط النحو والتحلل من قيود الإعراب وتغيير الحظ ، وقد برز في هذا المجال الخوري مارون غصن والجبور ، وانساق إليهم أحمد أمين ، وكان ساطع الحصري يتمنى لو ألغى النحو العربي وطبقت القواعد اللغوية الغربية مكانه (٢) .

سبب تأليف الأستاذ المبارك في فقه اللغة العربية : صادف الأستاذ

المبارك وضعًا غير مستقيم في الشئون التي تخص لغة الضاد - كما سبق أن لاحظنا - سرح طرفه فرأى في الكتب العربية القديمة في فقه اللغة علما مشتتًا ومادةً غزيرةً تنقصه الدقة والموضوعية ، وتنتظر يدًا رفيقة أمينة تلم شعثها وتنسّقها وتسلك فيها مناهج البحث العلمي الرزين وتستخرج منها جواهرها الكريمة ، ورأى في الكتب العصرية ولوع الباحثين العرب المعاصرين بتقليد الأعاجم والمستغربين وتطفلهم على موائد علماء الغرب في دراسة اللغات الإنسانية .

ومن جهة ثالثة عرف التقدم الهائل الذي أحرزته الدراسات اللغوية في الآونة الأخيرة واتساع نطاقها ، وقد وصلت الدراسات اللغوية على المستوى الدولي إلى أحدث النتائج وأحرزت تقدمًا ملموسًا ، واطلع على الكتب التي تشرح علاقة اللغة بالمجتمع ، واحتكاك فقه اللغة بجوانب من العلوم الاجتماعية ، مما يسلط الأضواء على أهمية إعادة النظر في دراسة فقه اللغة طبق المناهج المستجدة ، والقيام بتضييق الفجوة بين فقه اللغة العربية وبين الأبحاث الجديدة .

في خضم هذه الأوضاع مع جوانبها السلبية والإيجابية كان الأستاذ المبارك أفضل من يقوم بدراسة فقه اللغة العربية ، بصفته لغويًا متخصصًا له إتصال مباشر ومعرفة تامة بلغة أجنبية ، وكان أقدر وأوثق من يتصدى لهذا الوضع ، فبدأ بتأليف كتابه : « فقه اللغة » في آخر سنة ١٩٥٧م لكي يسد هذا الفراغ (٤) .

موضوع الكتاب :

واقتصر الأستاذ المبارك في كتابه على الأبحاث المتعلقة بالكلمة

المفردة لأنها لا تزال بمثابة حجر الزاوية في المباحث اللغوية . ثم إنه لم يتناول فيها إلا أهم وأبرز النواحي من الأبحاث . ولم يتعرض لما قد يأتي في المرتبة الثانية .

منهجه في الدراسة اللغوية :

درس اللغة العربية من خلال النظرات الحديثة واستفاد من فقه اللغة المقارن . دون إدخال الضيم على العربية أو إغفال أصولها وخصائصها .

لم يرتض لنفسه التقليد والاحتذاء لدراسات اللغات الأخرى . وأخذ بالاعتبار عبقرية اللغة العربية وخصائصها . وبالتالي لم يأخذ من النظريات الحديثة إلا اتجاهها وبعض مناهجها . والقضايا العامة المشتركة بين اللغات (٥) .

وراجع المصادر القديمة واستفاد من القدماء وتحاشى عن سوق الشواهد الكثيرة وآثر الاختصار .

لقد استفاد الأستاذ المبارك من المصادر القديمة وعرف لها قدرها . وأشاد بجهود القدماء واعترف لهم بالفضل على بينة من الأمر . وكثر استشهاده ورجوعه إلى ابن جنى . اللغوي المفضال الذي يمثل أولى الأدوار في تطور الفكر اللغوي عند العرب ولا تزال ملاحظاته الدقيقة مسلة بجدارة إلى الآن .

واعتمد كثيرًا أيضًا على السيوطي الذي التزم في كتابه « المزهر » بحسن الترتيب . ودقة التبويب وجمع مادة غزيرة . وقد كانت أهميته مزدوجة . ذلك لأن كثيرًا من المصادر التي عول عليها السيوطي ونقل منها . قد ضاعت وفقدت فيما بعد .

وقد كانت له مقدرة جيدة على اللغة الفرنسية . واطلاع مباشر على فقه اللغة الفرنسية . زد إلى هذا أنه عاش تجارب عملية في فرنسا . فكانت بذلك ثقافته عالمية واسعة الآفاق . تيسرت له من خلالها المقارنة والموازنة بين اللغة العربية واللغات الحديثة الأخرى . وفي مقارناته ركز على الأمثلة الفرنسية . مما أكسبت دراساته طابعًا من فقه اللغة العام والمقارن وفقه اللغة العربية في الوقت نفسه .

أهم القضايا التي ناقشها :

لقد عرض الأستاذ المبارك لطائفة كبيرة من المواضيع اللغوية . فبدأ بتعريف علم اللغة وعناصره وأقسامه . ثم مر مرًا سريعًا باستعراض مساهمة العرب في فقه اللغة إلى أن استطرد في الحديث إلى العصر الحديث . ثم تناول الأصوات اللغوية . واستوعب أهم جوانبها وصفًا وتطورًا . وبعد قطعه أشواط البحث والمناقشة خرج بنتيجة أن البحث العلمي قد اقتنع بثبات الأصوات العربية وذلك بفضل القرآن الكريم . حيث نجدنا حين نتكلم بالفصحى . لا يختلف نطقنا عن نطق الناس في الجاهلية وصدر الإسلام . وكان السبب الجوهري هو القرآن الكريم في « احتفاظ لغتنا بأصواتها ثابتة » و بأنسابها صريحة و بحروفها واضحة (٦) .

رأيه في القيمة التعبيرية للصرف الواحد :

وتعرض الأستاذ المبارك للاشتقاق و وقف مع كل أنواعه وقفة تأمل مع استناده إلى دراسة كافية للمراجع القديمة . وفي غضون حديثه عن

القيمة التعبيرية للحرف الواحد في الألفاظ العربية ، خلص إلى أن هناك تأثيرًا للحروف في تقوية المعنى أو إضعافه ، وأن هناك نوعًا من الانسجام بين أصوات الحروف التي تتركب منها الألفاظ ودلالاتها ، الأمر الذي يدعو إلى مزيد من التحرى والاستقراء (٧) .

وبحثه في الاشتقاق دقيق جدًا وقد أولى الموضوع عناية فائقة إذ أن الاشتقاق يمثل الوسيلة الأساسية لإثراء المعجم العربي في إطار البناء الصارم للصرف العربي ، وهو مظهر من مظاهر منطقيتها وموافقتها للطبيعة في « إرجاع الجزئيات إلى الكليات وربط الأجزاء المبعثرة بالمعنى الجامع » (٨) .

وفي هذا الباب اتصفت آراؤه بالدقة والحيطة العلمية ، حيث إنه لم يستعجل في قبول بعض النظريات التي ارتجت الأجواء بصداها ، من ذلك ما نرى من توقفه في ثنائية الكلمة العربية ، واعتبار الأصل الثنائي مرحلة تاريخية لم يعد البحث فيه مجديًا ، وأن العربية استقرت على الأساس الثلاثي (٩) .

ويتقدم الأستاذ المبارك إلى موضوع الأبنية والأوزان ويأتي بنتائج علمية ممتعة بعد دراسة البناء الصرفي وأثر التقاليب وتصاريف الكلمة في تحديد المعنى ودور الحركات في تحديد صلة المعاني ، كما يلاحظ في هذا النظام الموسيقية وجمال الإيقاع ، وبان له أنه حدث تطور بطئ في الأوزان والأبنية العربية على مدى العصور (١٠) .

ملاحظاتـــه في المعانـــي :

وملاحظاته في تطور الدلالة ومعاني الألفاظ دقيقة أيضًا ، فقد أوضح

أن مفردات لغة ما تحمل في طيها عالما من الملابسات التي تعين دارس اللغة ، ودارس علم الاجتماع والتاريخ معًا في وقت واحد ، فإن المفردات تشير إلى خلفيات وأنظمة موروثة من التقاليد ، حيث إنها تدل دلالة واضحة على عقلية الشعوب وتستشف عن الميول والنزعات ، وقد عالج مباحث أخرى مهمة في اللغة منها تأملاته الواعية في حياة الألفاظ وتاريخها ، ولاحظ قلة عناية المعجميين العرب بالتسلسل التاريخي في تطور دلالة الألفاظ ، كما أنه ذكر أسباب تطور المعاني ، الأسباب التي تشمل اللغات وتصلح لتفسير التغير في كفة الميزان العلمي (١١) .

إتزانه في تطبيق النظريات الحديثة ، ومحافظته لخصـــــائص اللغة العربية وطبيعتها المتفردة :

من خلال دراستنا للأستاذ المبارك نجده على وعي تام من مواقفه في القضايا اللغوية ، كما نلاحظ في وصفه للحقائق الثابتة عن خصائص العربية الوجه الأصيل للعربية الغراء ، ونرى أنه أنصف مع العربية في تطبيق المناهج الجديدة بالنظر إلى نفسية وطابع اللغة العربية ، واستطاع أن يحتفظ بخصائص العربية وذاتيتها ، فلم تطمس لها علامة ولم تتغير ملامحها ، بينما تورط معظم معاصريه ولم يتمكنوا من صياغة الآراء والأفكار الأجنبية في إطار اللغة العربية و تطبيقها مع نفسية اللغة العربية .

تستبين للدارس في أبحاثه الفكرة الواضحة التي دارت حولها الأبحاث ، حيث انتظمت أجزاؤها ، وتضامنت أطرافها واتحدت نواحيها، ويخرج منها بنظرية شاملة وتصور إجمالي لفقه اللغة العربية بخصائصه

المتفردة مع مرونته وتضمنه للنظريات الحديثة المتطابقة .

ذاتيتـه في تحليل القضايـا :

وقد برزت ملامح شخصيته القوية في تحليل القضايا ، وأبانت مباحثه عن الذاتية والأصالة الفكرية ، واتسمت عباراته بوضوح الفكرة ودقة التنسيق ، واستطاع صياغة أفكاره ونظرياته في ضوء ثقافته المزدوجة - عربيته الأصيلة وفرنسيته البارعة - وأن يصف لنا الحقائق اللغوية وصفًا صادقًا دون أن تختفي شخصيته في خضم الآراء والنظريات القديمة والحديثة التي استقى منها معلوماته ، ولم تختلط عليه المناهج رغم رجوعه المتكرر إلى القديم والحديث منها ، ومن بين هذه الغمرة من النظريات العلمية الجديدة المبتكرة والقديمة الأصيلة ، شق طريقه الموصل إلى العربية ، مرسوم الخطى ، محدد المعالم .

كانت فكرة التحرر والذاتية جاءت عنده عن كثب ، ونشأت كنتيجة طبيعية منطقية بعد التجارب العملية التي مر بها الأستاذ المبارك ، فكانت عنده بمثابة سجية ومنهج طبيعي خالط اللحم والدم وأصبح مزية من مزايا شخصيته وعقليته ونفسيته ، ومن ثم كانت الخطة التي سارها في بحثه في قضايا اللغة العربية مستفادة ومنتقاة من تلك التجارب العملية ، والتحرر والذاتية التي دعى إليها في شخصية المجتمع الإسلامي وثقافته العامة وعقيدته ، وهي التي ميزت أعماله اللغوية عن الآخرين ، وكانت مهمته في فقه اللغة البحث عن الحقائق في جميع مظانها ، في المصادر القديمة والحديثة ثم الاستقراء والتجربة والمقارنة و وصفها كما

هي لإبراز المعالم وإيضاح الملامح ، وقد عبر عنها تعبيرًا صادقًا مع الانفعال والتجاوب مع السلوك اللغوي .

في ميزان النقد و الاستدراك :

لقد انتقد الدكتور صبحي صالح المنهج الذي ساره الأستاذ المبارك ، يقول : « .. إن في كتابه نظرات ثاقبة وآراء في العربية ناضجة ، ولكنها لم تبرأ من المآخذ ، إن الأستاذ المبارك لا يبالي بالنصوص القديمة كثيرًا ، فما يذكرها إلا قليلاً ، ونادرًا ما يعزوها في الحواشي إلى أصحابها ، مع أنه أوثق الناس صلة بالقديم وأنه في هذا الباب تلميذ أبيه العلامة عبد القادر المبارك ، وعلى أنه أوضح في مطلع كتابه : « أنه لم يعمد إلى حشد الشواهد الكثيرة » (١٢) .

ورأينا أن الاعتراض غير وارد من جهتين :

الأولى : إن الأستاذ المبارك أراد إعطاء صورة إجمالية عن القضايا التي ناقشها ، ولذلك رسم لنفسه منهج الاختصار والاقتصار ، وأوضح بذلك في مطلع كتابه ، فكيف نلزمه بشئ لم يقبله مبدئيًا ؟

الثانية : إنه اعترف بأهمية النصوص والمتون واعتبر إغفالها نوعًا من العبث ، حيث يقول : « إن الألفاظ لا تعيش منعزلة ، بل في متون النصوص مجتمعة ، مركبة مع غيرها من الألفاظ ، ولذلك كانت دراستها مجردة منفردة دراسة عقيمة غير منتجة ، فيجب أن يستنتج معناها ، أو معانيها المتعددة من مجموع النصوص التي تحدد استعمالها ويمكننا من ضبط معناها ضبطًا دقيقًا » (١٢) .

ومع صغر حجم كتابه فإنه تضمن فكرة واضحة وتناول معظم الأبحاث اللغوية ، ولم يكن فيها رجوعه إلى القدماء قليلاً .

والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الهوامش :

(١) محمد المبارك : فقه اللغة ، دمشق ، مطبعة جامعة دمشق (بدون تاريخ الطبع) تقديم الكتاب - ج - د .

(٢) السيوطي جلال الدين : « المزهر في علوم اللغة وأنواعها » شرح وتحقيق محمد أحمد جاد المولى بك القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه : ط/٢ ، ج/١ ، ص/٢٥١ .

(٣) شتكيفنش : العربية الفصحى الحديثة ، ترجمة وتعليق : د/محمد حسن عبد العزيز - القاهرة ، دار الفكر العربي : ص/١٨٥ .

(٤) محمد المبارك : فقه اللغة ، مقدمة : هـ - و .

(٥) المصدر السابق : مقدمة : و - ز .

(٦) المصدر السابق نفسه : ص/٤٩ .

(٧) المصدر السابق : ص/٨٥ .

(٨) المصدر نفسه : ص/٦٢ .

(٩) كان جرجي زيدان في طليعة القائلين بالأصل الثنائي ، وقد أطال النفس في دعم مذهبه في كتابه : « الفلسفة اللغوية » .

(١٠) فقه اللغة : ص/١١٨ .

(١١) نفس المصدر السابق : ص/١٨٨ .

(١٢) د/صبحي صالح : « دراسات في فقه اللغة » بيروت ، المكتبة الأهلية : ط/٢ ، ١٩٦٢م - ص هـ - و من المقدمة .

(١٣) فقه اللغة ، للأستاذ محمد المبارك : ص/١٢٩ .

صور و أوضاع :

من المسئول عن معاناة المسلمين

واضح رشيد الندوي

يعتقد كثير ممن يثق بالاعلام المعاصر ، أن المسلمين هم أكثر الأمم تعرضا للفتن والأزمات ، وأن بلدانهم تظل مسرحا للقتال ، والصراعات السياسية حينًا بعد حين ، ويوجه إلى المسلمين ، وخاصة من يبدو مثقفًا منهم في مناسبات الاختلاط بغير المسلمين ، سؤال مهم ، وهو لماذا يوجد هذا الوضع في العالم الإسلامي أكثر مما يوجد في غيره ؟ فيحار كل من يوجه إليه هذا السؤال المحرج في الإجابة عليه ، لأن كل مسلم ومنهم المثقفون اليوم لا يقرأ إلا ما يكتبه أعداء الإسلام و المتشككون والمشككون ومن لم تنشرح قلوبهم للإسلام ، ولم تسنح له فرصة لدراسة تاريخ الإسلام ، وتاريخ الاستعمار الغربي ، ولم يتعرف على الحركات المعاصرة التي قامت بعد النشأة الثانية في أوربا ، ولم يطلع على فترات الظلام ، والكفاح المرير ، والثورات والحروب ، التي دامت في أوربا مدة طويلة من الزمن ، والحروب الطاحنة التي قامت على أساس الاختلاف في العقيدة بين البروتستنت ، والكاثوليك ، وعقوبات محكمة التفتيش ، وما ارتكبته الدول المستعمرة في مستعمراتها من قتل ، وتشريد ، ومحو معالم الحياة السابقة ، وقمع الحريات ، وممارسة التمييز على أساس العقيدة ، وحتى في المحن والكوارث البشرية ، وما أدت إليه الثورة

البلشفية في الاتحاد السوفياتي ، من سفك الدماء ، وتشريد المواطنين ، وتغيير المعالم ، ونقل السكان قسريا من أوطانهم ، واسكانهم في غير أوطانهم ، والقضاء على اللغات والثقافات ، والعادات المحلية ، وتغيير الأسماء ، وفرض رجالها عقيدتهم ، ومنهجهم على شعوبهم المقهورة ، وسدّ جميع نوافذ الفكر ، و وضع سدود بين الشعوب المختلفة لمنعها من الامتزاج والاختلاط بالأمم الأخرى ، وغلبة روح التوسعية عليها ، واخضاع الأمم الأخرى لها مباشرة أو إخضاعها لمنهجها.

من لم يطلع على هذا التاريخ الطويل للاستعمار والاشتراكية ، ولم يطلع على الخلفيات لها ، ولم يطالع تاريخ العهود التي سبقت هذا العهد الجديد الذي يعرف بعهد غلبة الغرب ، ولم يطلع على الفظائع والمآسي التي تعرضت لها الشعوب تحت حكم الدول الأوربية المعاصرة ، يجد نفسه في حيرة ، ويتعثر في الرد على السؤال الذي يوجه إليه عن حالة المسلمين في العالم كله ، وجيرتهم ، والصراعات القائمة في مجتمعاتهم .

ولو كان هذا المسلم الذي لا يعرف عن ماضي الغرب القريب ، كان يعرف حاضر الغرب ، ولا ينخدع بالاعلام المعاصر الذي يركز فقط على مآسي العالم الإسلامي ، ويصور البؤس والشقاء في غير العالم الأوربي ، لما طالت حيرته وارتباكه ، ولرد على هذا السؤال بطريقين ، لا بطريق واحد ، طريق الهجوم على السائل والمجتمع الذي ينتسب إليه ، وطريق الدفاع عن الإسلام والمسلمين ، وشرح أسباب المآسي والصراعات التي تعم المجتمع الإسلامي ، وادان المسئول الحقيقي عن هذه المآسي والصراعات والسبب الكامن وراءها .

إن هذا السؤال عن سبب بؤس المسلمين وشقائهم ، والاضطراب الدائم في بلدانهم ، سؤال عالمي ، له دوافع سياسية ، ويوجه عادة إلى المسلمين في اللقاءات بين مختلف الجاليات ، كأن هناك تخطيطًا أو تعليمًا لتوجيه هذا السؤال إلى المسلمين ، ومعالجته بهذا الطريق ، سؤال تطرحه وسائل الاعلام المعاصرة وحملة الأقلام الغربيون ، ويحاولون البحث عن الجواب ، ويلومون طبيعة الإسلام والمسلمين ويرجعون المسئولية الكاملة إلى الإسلام ، وذلك لاجبار المسلمين على الشعور بأنهم في حالة التمزق ، والتشتت والصراع الفكري ، وأنهم في حالة تشنجية ، لأنهم يتبعون دينًا قديمًا ومتزمتًا ، فلا يستطيعون في مثل هذه الحالة ، أن يتقدموا أو يسايروا ركب الحياة ، لأنهم مشغولون بقضايا مشتبكة ، وأن طاقاتهم تستنزف في مواجهة هذه القضايا ، ولا تسبب تمزقهم المذاهب ، والعقائد ، والملل والنحل الكثيرة في المسلمين فحسب بل تمزقهم القوميات الكثيرة ، والثقافات المتعددة ، ونظم الحكم المتعارضة ، والصراع بين القديم والحديث ، والأصولية ، والمعاصرة ، الذي يقسم مجتمعهم بالإضافة إلى تخلفهم في العلم والتكنولوجيا وشيوع الجهل والفقر .

يقدم هذه الصورة القاتمة للمجتمع الإسلامي ، أو العالم الإسلامي المثقفون المعاصرون وهم الذين يوجهون هذا السؤال إلى المسلمين ، ولا ترتسم هذه الصورة في أذهانهم بالوضع المعاصر للمسلمين ، فإنه وضع مختلف عن هذه الصورة ، وإنما هو الوضع الذي أراده الاستعمار الغربي ، واتخذ له وسائل ، وتدابير مدروسة ، وهو صورة متصورة أو حلم من أحلام القوى الاستعمارية ، وقد ركزت على تحقيقها القوى الاستعمارية

الغربية والشرقية ، واتخذت لها وسائل ، وتدل عليها قرارات مؤتمراتها السياسية وبيانات زعمائها ، فإنها هي التي روجت القوميات في المسلمين ، وقامت بحماية وتأييد زعماء القوميات المتعارضة ، كالطورانية ، والإيرانية ، و العربية ، و الكردية ، و البربرية ، و أخرجت الحضارات القديمة المطمورة ، من مزابل التاريخ ، ودعمت رجالاً يتحمسون لها ، ويدعون إلى تمجيدها لقطع الصلة بالإسلام ، وتمزيق المجتمع الإسلامي القائم على فكرة واحدة ، وحضارة واحدة ، على أساس كلكم من آدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي .

لقد كان المجتمع الإسلامي مجتمعًا واحدًا قبل الاستعمار يقبل العربي سيادة التركي ، والهندي للمغولي ، والصومالي ، والزنجباري للعربي ، وكان المسلمون قوة عالمية لهذا الترابط ، ولم يقع هذا الانفصال إلا بتدسيس القوى الاستعمارية التي روجت فكرة القومية الإقليمية ، ولا يزال عملاؤها يجتهدون لترسيخ هذه النزعات التي تفرق بين مختلف كيانات الأمة الإسلامية ، وكان تصور الجامعة الإسلامية ، والتضامن الإسلامي تصورًا خطيرًا في عهد الاستعمار ، وكل من كان يرفع هذا الهتاف كان يعتبر رجعيًا ، وعدوا للتقدم والحضارة ، ولكن خيانة الغرب ، وخذلانه بالنسبة لأصدقائه الذي اعتمدوا عليه ، وربطوا مصيرهم به ، في الستينات أدى إلى تصدع هذا السدّ الغربي ، وتجمعت القوى الإسلامية ، ولو إسميًا ، و وجد نوع من التزامل والتشاور بين الدول العربية وغير العربية ، وعادت الأخوة بين الأتراك والعرب ، والفئات الأخرى ، التي كانت متحاربة فيما بينها ، ويرجى أن هذه الوحدة

الشعورية أو الرمزية ستتوثق وتصبح كالبنيان المرصوص إذا استمر عداء الغرب للإسلام وسلوكه المعاكس مع الدول الإسلامية ، وظهرت حقيقة علمانيته وتقدميته في الأحداث العالمية كما ظهرت في البوسنة والهرسك ، وفلسطين ، واستمرت حربه للحركات الإسلامية ، وتأييده للنظم الاستبدادية .

إن ما يوجد من الصراع والتوتر في العالم الإسلامي يرجع أساسيا إلى هذا الموقف الاستعماري الغاشم إزاء قضايا العالم الإسلامي الشرعية ومطالب شعوبه .

ومن يدرس تاريخ الحركات والدعوات في العالم الإسلامي يقرر ذلك ، عند ما يجد دعوات وحركات ضد لغات المسلمين وثقافاتهم وآدابهم ، ويواجه استخفافا بأمجادهم ، بدعم الغرب ، ويواجه أن الذين يرتكبون أعمال الخيانة الوطنية ، يكرمون ويمجدون ، ويجرى ترقيتهم إلى المناصب العليا ، فتعيش هذه الشعوب على كظاظة ، وحالة اختناق .

وقد يقول قائل لماذا لا يوجد هذا الصراع أو المقاومة في الشعوب الأخرى ، التي قضت فترة مماثلة في عهد الاستعمار ، والاستعمار يعامل جميع الشعوب التي تخضع له معاملة القهر ، ولكن الذي يدرس سلوك الاستعمار في الدول ذات الأغلبية الإسلامية ، وسلوكه في الدول غير الإسلامية ، يجد فارقًا كبيرًا ، فقد كان المسلمون قبل الاستعمار أكبر قوة رادعة في العالم ، وكانوا على أوج مجدهم ، عند ما كانت أوربا تتسكع في دياجير الظلام ، وكان سفراء فرنسا وبريطانيا ، وألمانيا ينتظرون أيامًا ليتشرفوا بلقاء السلاطين المسلمين ، وكان هذا الرعب

والهيبة على النفوس من قوة المسلمين قائمة إلى آخر القرن التاسع عشر للميلاد . فكان المسلمون هدفهم الرئيسي ، وصبوا جام غضبهم وانتقامهم عليهم ، وبذلوا ما كان في وسعهم لاستئصال شأفتهم وكسر شوكتهم .

ومما يدل على هذا الموقف أن الإنجليز لما استقرت أقدامهم في الهند أصدروا تعليماتهم بأن تملأ كل وظيفة عالية شاغرة بالإنجليز ، وإذا لم يوجد من يملأ هذه الوظيفة من الإنجليز ، يملأها غير المسلمين من الهندوس وغيرهم .

وكان موقفهم في مجال التعليم العالي ، موقف التمييز في العالم الإسلامي كله ، و وضعت في كثير من الدول الإفريقية ذات الأغلبية الإسلامية عقبات في سبيل تعليم المسلمين تعليمًا عاليًا ، ومن حمل كفاءات عالية وتجاوز هذه العقبات ، كان يبذل جهد لاسقاطه في الاختبار الشفوي ، وفي الفحص الطبي ، ولا تزال بعض الحكومات تسلك هذا المسلك بالنسبة للمسلمين ، لإثبات أن المسلمين أقل درجة في الكفاءة والصلاحية الذهنية ، وتتخذ بعض لجان الامتحان وسائل استفزاز الشباب المسلمين بتوجيه أسئلة تمس كرامة المسلمين ، وتجرح مشاعرهم فيفقدون أعصابهم ، وعلى الأقل يحدث فيهم انفعال .

ومن يلقى نظرة فاحصة على تاريخ عهد الاستعمار يصادف تصريحات لبعض أقطاب الفكر الغربي ، والدعاة إلى تقليد الغرب ، أن هذا التقليد يجب أن يكون محصورًا ، في إطار الثقافة والفلسفة ، ولهم تصريحات بأن لا تصرف الطاقات إلى التقدم الصناعي والمهني ، لكي يبقى العالم الإسلامي عالة على مصنوعات الغرب ، ومنتوجاته ، فإذا كانت الصناعة

العادية مهجورة ، فكيف يمكن تتطور الصناعة العالية ؟

وقد اقفلت كثير من الصناعات الشائعة في العالم الإسلامي ، ليزداد الاعتماد على الصناعة الأوربية ، ولا يستغرب الذهن العام هذا الموقف الغربي في ضوء الضجة التي تثار حول احتمالات صناعة القنبلة الذرية ، في أي بلد إسلامي ، في الوقت الذي يجرى فيه سباق في عشرات الدول في هذه الصناعة ، وتجرى التجارب على مشهد من الاعلام المعاصر ، وتتخذ إسرائيل الدويلة المغروسة في المحيط العربي وسائل دفاعية ، وصناعة مضاعفة ، ولا يعترض عليها أحد .

إن معظم القضايا التي تستنفد طاقات الدول الإسلامية والمجتمعات الإسلامية المعاصرة ترجع إلى سياسة تقسيم الدول الاستعمارية ، فإنها عند ما انسحبت خلفت في المنطقة مشاكل سياسية وقومية وعنصرية ، وتركت الحدود لكل بلد انسحبت عنه متنازعًا حولها بين الدول المجاورة ، وقطعت بعض المناطق الإسلامية عن بلدها الأم وضمتها إلى بلد غير إسلامي ، وبهذا التخطيط الظالم يستمر الصراع ، وتبقى المنطقة في حالة قلق واضطراب ، ولا تزال الدول الغربية تقيم صلتها بالفرق المتصارعة ، و تمد جميع الفرق المتحاربة بالأسلحة ، لكيلا تحل هذه المشاكل ، والمتتبع لخريطة العالم الإسلامي يواجه هذه الخطوط المتأرجحة في بقاع العالم المختلفة ، وهي أكثر عددًا من المناطق الأخرى في العالم .

إن الصراع يحدث عادة للكبت والقمع ، والحرمان من الحقوق الشرعية وهو أمر طبيعي ، ويبقى هذا الصراع ما دام القمع قائمًا ، ويعترف بذلك علماء النفس والاجتماع الأوربيون ، وقد شغلتهم مسألة الكبت النفسي والجنسي ، فعقدوا من أجل ذلك مؤتمرات عالمية ، وأعدوا برامج لتحرير

الإنسان من الكبت ، لكنهم لا يهمهم كبت الشعوب المسلمة في بلدانها ، بل يتمادون ويزدادون اصرارا على هذا الكبت ، فيفرضون على الشعوب الإسلامية قوانين ومناهج لا تقبلها طبيعة هذه الشعوب ، فكيف لا يحدث الصراع ، وفي هذه الشعوب نفوس طيبة تحب الخير ، وتحرص على أن ينتشر الخير ، وتكره الشر ، وتحرص على أن لا يشيع الشر والفساد ، ولها قيم ثابتة ، وهي تسير في ضوء تعاليم مقررة ، وهي راسخة العلم في صلاحيتها ، ومؤمنة إيمانًا قويًا لسدادها ولا تزحزح إيمانها المحن والشدائد مهما تضخمت ، وعند ما تظهر مساوئ الحضارة الغربية ، ومضارها ، تزداد هذه النفوس ثقة وإيمانًا وعزيمة ، واستعدادًا للتضحية والفداء فتجتهد لتغيير الوضع ، وإصلاح الفساد ، وتحاول أن تتحرر الأمة من عبودية الغرب ، والتقيد بنظمه الاقتصادية ، والسياسية ، وترتفع من الحضيض الذي انحطت إليه في عهد الاستعمار ، وبعد الاستعمار في عهد الولاة الموالين للغرب ، والمؤمنين بعقائده وثقافته ، وتدعو إلى طرق الخير وإتباع المثل العليا والنزاهة في الحياة ، والعفاف ، فتفرض عليها القيود ، وتمنع من التحرك ، وتكبل ، وتكمم أفواه رجالها ، وهم لا يريدون بأمتهم إلا خيرًا ، ورشدًا ، وصلاحًا ، ولا لأعدائهم نقمة أو شرًا ، ويقال : إنهم إرهابيون ، وأصوليون ، وأعداء الحضارة .

٧٧٧

مكتبة الكتب الإسلامية

العدد القادم

يبتدئ به المجلد الحادي والأربعون بمشيئة الله تعالى ، وسيصدر بعد فترة شهر إن شاء الله تعالى ويتضمن شهر رمضان ١٤١٦هـ ، يناير و فبراير ١٩٩٦م

[التحرير]

72336—73864

REGD.NO.LW/NP 59

MAJALLAH ALBAAS-EL-ISLAMI (MONTHLY)

DECEMBER — 1995

صدر حديثاً :

واقع العالم الاسلامي

وَمَاهُوَ الطَّرِيقُ السَّدِيدُ لمواجهته وإصلاحه

تحدث فى هذا الكتيب سماحة العلامة السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى عن واقع العالم الاسلامى المعاش ، و عن مسئولية كل مسلم واع و دوره فى إنقاذ العالم الاسلامى من هذا الواقع الخطير .

قام بنشره و توزيعه

دار عرفات للترجمة ، و النشر و التوزيع

دارة الشيخ علم الله ، رائى بريلى (الهند)

يطلب الكتاب من :

المجمع الاسلامى العلمى

ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة باريك أوفست لكناؤ